

أ. محمد السماك

تقديم أ. د. محمد عمارة

الصهيونية المسيحية

والموقف الأمريكي

الأنهر

www

١١٨٩٠
مفوضات

五、《说文解字》：《说文解字》是东汉许慎所著的一部文字学著作，系统分析了汉字的构造和演变。

五、六、七、八、九、十、十一、十二、十三、十四、十五、十六、十七、十八、十九、二十、二十一、二十二、二十三、二十四、二十五、二十六、二十七、二十八、二十九、三十、三十一、三十二、三十三、三十四、三十五、三十六、三十七、三十八、三十九、四十、四十一、四十二、四十三、四十四、四十五、四十六、四十七、四十八、四十九、五十、五十一、五十二、五十三、五十四、五十五、五十六、五十七、五十八、五十九、六十、六十一、六十二、六十三、六十四、六十五、六十六、六十七、六十八、六十九、七十、七十一、七十二、七十三、七十四、七十五、七十六、七十七、七十八、七十九、八十、八十一、八十二、八十三、八十四、八十五、八十六、八十七、八十八、八十九、九十、九十一、九十二、九十三、九十四、九十五、九十六、九十七、九十八、九十九、一百。

[illegible]

STATE OF ISRAEL IS BORN

factor but without taking any action on the Partition Resolution of November 29.

Yesterday the battle for the Jerusalem-Tel Aviv road was still under way, and two Arab villages were taken. In the north, Acre town was captured, and the Jewish Army consolidated its positions in Western Galilee.

Proclamation by Head Of Government

其後，**三國志**、**晉書**、**宋書**、**南齊書**、**梁書**、**陳書**、**魏書**、**北齊書**、**周書**、**隋書**、**唐書**、**五代史**、**宋史**、**元史**、**明史**、**清史**等，皆以「紀」為首。此種體裁，實為中國史學之傳統。

[illegible][illegible]

Special Assembly



جريدة "Palestine Post" في الرابع عشر من مايو-أيار 1948

الصيوانية المسيحية

والوقوف الأمريكي

للأستاذ / محمد السماك

تقديم/

أ. د. محمد عمارة

طبعة صفر ١٤٣٥ هـ

AZHR-ISC-BK-0000000167-AZH

00431368

تقول اليهودية في المسيحية: «يسمح لليهودي أن يكذب

ويشهد زورًا للإيقاع بالمسيحي. فاسم الرب لا يندس ولا يحذف به، حين نكذب على المسيحيين»^(١).

«يجب على اليهود السعي الدائم لغش المسيحيين»^(٢).

«من يفعل خيرًا للمسيحيين، فلن يقوم من قبره قط»^(٣).

«... والآن دعونا نوضح لكم كيف مضينا في سبيل الإسراع

بقصم ظهر الكنيسة الكاثوليكية، فاستطعنا التسرب إلى دوائها الخصوصية، وأغويننا البعض من رعيته (كهنتها الداخليين) ليكونوا روادًا في حركتنا، ويعملون من أجلنا.

أمرنا عددًا من أبنائنا بالدخول في جسم الكاثوليكية، مع تعليمات صريحة بوجوب العمل الدقيق والنشاط الكفيل بتخريب الكنيسة من قلبها، عن طريق اختلاق فضائح داخلية. ونكون بذلك قد عملنا بنصيحة أمير اليهود، الذي أوصانا بحكمة بالغة: دعوا بعض أبنائكم يكونوا كهنة ورعاة أبرشيات، فيهدموا كنائسهم.

ومع الأسف الشديد، لم يبرهن جميع اليهود من أبناء العهد عن إخلاصهم للمهمة الموكولة إليهم، فخان كثيرون العهد، لكن الآخرين حافظوا على عهدهم، ونفذوا مهماتهم بشرف وأمانة.

نحن آباء جميع الثورات التي قامت في العالم، حتى تلك التي انقلبنا عليها أحيانًا، ونحن أيضًا سادة الحرب والسلام، بدون منازع. ونستطيع التصريح اليوم بأننا نحن الذين خلقنا حركة الإصلاح الديني للمسيحية. فكالفين كان واحدًا من أولادنا، يهودي

١- BABA KAMA. 113 a. 113 b

٢- ZOHAR I. 160 A

٣- ZOHAR I. 125 B

الأصل ، أمر بحمل الأمانة ، بتشجيع المسؤولين اليهود ودعم المال اليهودي ، فنفذ مخطط الإصلاح الديني . كما أذعن مارتن لوثر لإيحاءات أصدقائه اليهود ، وهنا أيضًا ، نجح برنامج ضد الكنيسة الكاثوليكية ، بإرادة المسؤولين اليهود وتمويلهم .

ونحن نشكر البروتستانت على إخلاصهم لرغباتنا ، برغم أن معظمهم ، وهم يخلصون الإيمان لدينهم ، لا يعون مدى إخلاصهم لنا . إننا جد ممتنون للعون القيم الذي قدموه لنا في حربنا ضد معاقل المدنية المسيحية ، استعدادًا لبلوغ مواقع السيطرة الكاملة على العالم .

حتى اليوم تمكنا من قلب الأنظمة القائمة في معظم ممالك أوروبا ، والبقية آتية لا ريب عما قريب . فروسيا شرعت في تمهيد الطريق لمسيرتنا . فرنسا ، بحكومتها الماسونية ، تحت إصبعنا . إنجلترا ، باعتمادها على تمويلنا ، تحت قدمنا ، ولكونها بروتستانتية فهي معولنا في القضاء على الكنيسة الكاثوليكية . أما إسبانيا والمكسيك فهما دميّتان بأيدينا . وثمة دول عديدة ، علاوة على الولايات المتحدة الأمريكية ، واقعة في شراكنا .

إن معظم صحف العالم تعمل تحت سيطرتنا ، فلنغذ عن طريقها ، بقوة وفعالية أكثر - الحقن العالمي على الكنيسة الكاثوليكية .

ولنمض ، لدعم وتقوية مخططاتنا ، بتسميم أخلاق الأغيار ، ننشر روح الثورة بين الجماهير ، نشجعها على احتقار الوطنية ، وازدراء وحدة العائلة والارتباط بمحبتها ، واعتبار الدين ، أي دين ، هراء ومضيعة للوقت وقضية سبقها العصر ولم تعد تتماشى مع متطلباته . ثم أخيرًا ، لتذكر دائمًا أن ملك اليهود المنتظر لن يرضى بحكم هذا العالم ، قبل خلع البابا عن كرسيه في روما ، والإطاحة بجميع ملوك العالم» (٤) .

٤- من الخطابات التي ألقيت في مؤتمر مجمع بنائ بريث في باريس . نقلًا عن مجلة كاثوليك جازيت - عدد شباط - فبراير - ١٩٣٦ م .

وتقول المسيحية في اليهودية:

«يعتبر اليهود خطراً على جميع شعوب العالم، وخاصة على الشعوب المسيحية» (٥).

«إن القوى ذاتها التي «صلبت المسيح» طيلة ١٩٠٠ سنة، تسعى اليوم إلى «صلب» كنيسته. لقد فرض على المسيحية، في عصرنا الراهن، نضال عظيم، نهايته ستحدد مصير المسيحية، حياة أو موتاً، لكن معظم القادة المسيحيين لم يعوا ذلك بعد. إن الشيوعية - اليهودية العالمية - التي نجحت في إذلال شعوب الأرض، تترقب الفرصة المواتية الآن لسحق المسيحية سحقاً كاملاً» (٦).

«كل ما أتى به المسيح، بوحي من الرب، لا يعنى أى شيء عند اليهود!». لقد أضنانى البحث الطويل، عبثاً، فى معظم كتب اليهود عن عبارة تعكس شيئاً من شعور إنسانى نبيل نحو المسيح.. وأنا أعترف بأننى، قبل أن أفعل ذلك، لم أكن أتوقع إطلاقاً أن أجد شيئاً عن احترام المسيح بين صفحات هذه الكتب. لكنى عرفت أن اليهودى الذى ينتابه مثل هذا الشعور النبيل يفقد يهوديته فوراً، ويغدو غير يهودى بالمرة. ففيم نجد فى قرآن محمد أفكاراً تعبر عن الاهتمام بالمسيح والاحترام العميق لشخصه؟ نقرأ ليهودى فى القرن التاسع عشر (غرايتيس) من المفروض أنه من المثقفين، وصفه للمسيح بقوله إنه «المولود الجديد المقتنع بالموت».. أما عن فكرة الصليب فيقول عنه: «إن اليهود ليسوا فى حاجة إلى مثل هذا الرمز الذى يولد شعوراً متشنجاً.. من أجل رفع مستوى عقائدهم الروحية». بل إن هناك ما هو أخطر من ذلك

٥- مجلة سيفيلتا كاثوليكا - الفاتيكان.

٦- الكاهن جيرالد ب. وينرود، انقراض اليهودية على المسيحية - ص ٦.

الصفويونية المسيحية والموقف الأمريكي

بكثير . ففي كتاب أصدره سنة ١٨٨٠م يهودى إسباني ، وهو موسى دوليون ، يصف المسيح بأنه « كلب ميت » ، وأنه « مدفون فى كومة روث » فى أواخر القرن التاسع عشر ، راح اليهود يصدرون طبعات بالعبرية يوضحون فيها « الفقرات السرية » من التلمود ، كى لا يثيروا حقدنا عليهم ، فحذفت من الطبعات غير العبرية الألقاب والنعوت التى اصطلحوا على تسمية المسيح بها ، مثل : المجنون ، الساحر ، النجس ، الكلب ، ابن الحرام ، الوثنى ، ابن الشهوة .. إلخ ، إلى جانب مسمياتهم لأمه العذراء الطاهرة » (٧) .

«يتضمن التلمود كل الكفر والإلحاد والخسة»^(٨).

ويقول الإسلام في اليهودية والمسيحية:

﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾

(العنكبوت: ٤٦).

﴿ وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ ٤٧ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ

٧- هيوستن ستيوارت تشامبرلين، أسس القرن التاسع عشر، المجلد الأول، ص ٣٣٧.

٨- إعلان البابا جريجورى التاسع فى العام ١٢٤٢ م.

جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾

(المائدة: ٤٧، ٤٨).

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ
وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا
أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ
مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾

(المائدة: ٦٥، ٦٦) ..

﴿قُلْ يَتَاهِلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ
وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ
رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾﴾

(المائدة: ٦٨).

﴿قُلْ يَتَاهِلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا
تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا
عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾

(المائدة: ٧٧).

﴿يَتَاهِلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَسْهَدُونَ
﴿٧٠﴾ يَتَاهِلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْفُرُونَ بِالْحَقِّ وَأَنْتُمْ
تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾﴾

(آل عمران: ٧٠، ٧١).

﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُودِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ
إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُودِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ

قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّتَيْنِ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾

(آل عمران: ٧٥).

﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٧٦﴾﴾

(آل عمران: ١٩٩).

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ۚ أَنْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾﴾

(النساء: ١٧١).

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ، وَفِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧٢﴾﴾

(المائدة: ١٧٢).

عندما لبّت الدول الأوروبية نداء البابا أوربان الثاني في العام

١٠٩٥م وشنت سلسلة الحملات الصليبية على العالم الإسلامي كان اليهود في أوروبا وفي العالم الإسلامي معاً من ضحاياها .
وعندما سقطت الأندلس من يد المسلمين في العام ١٤٩٢م تعرض اليهود مع المسلمين إلى حملات الإبادة وهاجر بعض من نجا منهم مع المسلمين إلى شمال إفريقيا . وهاجر بعضهم الآخر إلى أوروبا .

وعندما تعرض العالم الإسلامي لموجات التتار والمغول لم تميز تلك الموجات بين المسلمين واليهود . بل إن بعض ملوك التتار تحالفوا مع البيزنطيين وحتى مع البابا نفسه ضد المسلمين .

كان اليهود يتعرضون للاضطهاد والتحجير في المجتمعات الأوروبية وهي في مراحلها المتخلفة ، حاول اليهود معالجة هذه المشاعر بشتى الوسائل ، وكان الدين أنجعها . سربوا إلى الكنيسة عبر حركة الإصلاح الديني معتقدات تقول إنهم شعب الله المختار ، وإن الله يحب من يحسن إليهم ويعاقب من يعتدى عليهم .

فكرة « الشعب » طرحت فكرة « الوطن » ، إذ كيف يكون لله شعب ولا يكون لشعب الله وطن ؟ .

كان لابد من تبرير ديني لفكرة الوطن ، فالذين تأثروا بتهويد الكنيسة البروتستنتية (وخاصة من الكلفانيين والتطهريين) آمنوا بتفسير وضعي لنبوءات توراتية تقول : إن المسيح سيظهر للمرة الثانية وأن ظهوره سيتم بين اليهود وفي صهيون ، وأنه لابد من أجل ذلك من إقامة صهيون ومن إعادة تجميع اليهود فيها ، حتى إذا ظهر المسيح ، يخلص المؤمنين من العذاب بعد معركة - هرمدون - . ويتربع على عرش العالم مدة ألف سنة (الألفية) إلى أن تقوم الساعة .
أما الذين لم يتأثروا بالتهويد فقد وجدوا في هذه النظرية فرصة لتشجيع اليهود على الهجرة من مجتمعاتهم إلى فلسطين للتخلص منهم تحت ستار مساعدتهم على إقامة دولة صهيون .

الإستراتيجيون الأوروبيون (من الإنجليز والفرنسيين ثم الأمريكان) ربطوا بين مصالح إمبراطورياتهم في المشرق العربي وبين هذه المعتقدات، انطلقت الصهيونية كحركة سياسية تقول بإقامة وطن يهودى فى فلسطين، من الكنيسة المسيحية (البروتستنتية)، واستمرت زهاء ثلاثمائة عام قبل أن يعقد المؤتمر الصهيونى اليهودى الأول فى «بال» فى سويسرا فى العام ١٨٩٧ م. كان العداء للإسلام والرغبة فى قهر العرب من العوامل الرئيسة التى شجعت «الصهيونية المسيحية» على تجاهل الحقوق الطبيعية للفلسطينيين، الشعار الذى رفع منذ منتصف القرن التاسع عشر والذى يقول عن فلسطين: إنها «أرض بلا شعب، لشعب بلا أرض»، ينكر حتى وجود الشعب الفلسطينى بمسلميه وبمسيحييه على حد سواء.

وقفت الكنيسة الكاثوليكية ضد حركة «الإصلاح» الدينى. ووقفت ضد مبدأ إقامة وطن يهودى فى فلسطين. وتصدت للمشاريع الصهيونية (المسيحية واليهودية) قبل وبعد صدور وعد بلفور، وحتى قبل وبعد اعتراف الأمم المتحدة بإسرائيل، كانت الكنائس المشرقية أكثر تطرفاً فى رفضها للصهيونية وإن لم تكن بالضرورة أكثر فعالية، غير أن هذه المواقف لم تجد جسراً تعبر عليه إلى عمل إسلامى مسيحى مشترك حتى الآن.

مهمة هذه الدراسة هى بكل بساطة، محاولة وضع لبنة فى صرح هذا الجسر الذى لا بد من أن يقوم.

محمد السماك

محطات تاريخية بارزة

- ١٤٥٣م سقوط القسطنطينية بيد الأتراك المسلمين .
- ١٤٩٢م اكتشاف أمريكا .
- ١٤٩٢م سقوط الأندلس وهجرة قسم من اليهود مع المسلمين إلى شمال إفريقيا ، وهجرة قسم آخر منهم إلى فرنسا وإنجلترا والأراضي المنخفضة .
- ١٥٢٣م حركة الإصلاح الدينى فى أوروبا ، و صدور كتاب مارتن لوثر : « عيسى ولد يهوديا » .
- ١٥٤٤م صدور كتاب لوثر : « فيما يتعلق باليهود وأكاذيبهم » .
- ١٥٦٥م الثورة البروتستنتية ضد الكاثوليكية فى الأراضي المنخفضة (بلجيكا وهولندا اليوم) .
- ١٥٨١م البابا غريغورى الثالث عشر يصدر حكم الإدانة ضد اليهود .
- ١٦٠٩م هزيمة القوات الكاثوليكية وقيام جمهورية هولندا على أساس المبادئ البروتستنتية الكالفينية (نسبة إلى كالفن) .
- ١٦٤٩م نداء العالمين اللاهوتيين الإنجليزيين من هولندا جونا وألينز كارترايت إلى الحكومة الإنجليزية للمطالبة بأن يكون للشعب الإنجليزى ولشعب الأرض المنخفضة شرف نقل اليهود إلى الأرض التى وعد الله بها أجدادهم إبراهيم وإسحق ويعقوب ومنحهم إياها إرثاً أبدياً .
- ١٦٥٥م أوليفر كرومويل يتبنى النداء ويلغى قانون النفى الذى أصدره الملك إدوارد ضد اليهود .
- ١٦٢٢م هنرى فنش المستشار القانونى لملك إنجلترا ينشر دراسته حول « الاستعادة الكبرى للعالم » التى يدعو فيها إلى حملة صليبية جديدة لاستعادة « إمبراطورية الأمة اليهودية » .
- ١٧٠٠م صدور كتاب فيليب جنتيل لانجلير فى فرنسا الذى

يدعو فيه إلى مقايضة السلطان العثماني مدينة روما بمدينة القدس لتسهيل توطين اليهود في فلسطين .

١٧٩٨ م حملة نابليون على مصر .

١٧٩٩ م نداء نابليون الأول إلى يهود العالم للقتال معه من أجل «إعادة إنشاء مملكة القدس القديمة» .

١٧٩٩ م غزو نابليون لفلسطين وارتداده أمام أسوار عكا .

١٨٠٧ م تكوين «جمعية لندن لتعزيز المسيحية بين اليهود» .

١٨١٨ م الرئيس الأمريكي جون آدامز يدعو إلى استعادة اليهود لفلسطين وإقامة حكومة يهودية مستقلة .

١٨٣٨ م إنشاء أول قنصلية إنجليزية في القدس وتعيين قس بروتستنتي نائباً للقنصل .

١٨٣٩ م نشر دراسة اللورد أشلي كوبر (إيرل شافتسبري) بأن اليهود هم الأمل في تجديد المسيحية وعودة المسيح الثانية . وأن لله إرادة بعودتهم إلى فلسطين ، وأن الإنسان قادر على تحقيق إرادة الله .

١٨٣٩ م مذكرة سكرتير البحرية الإنجليزية إلى وزير الخارجية بالمرستون التي يقترح فيها دعوة أوروبا إلى الاقتداء بقورش لإعادة اليهود إلى فلسطين .

١٨٤٠ م رسالة بالمرستون إلى سفير إنجلترا بالقسطنطينية لحث السلطان العثماني على تحويل هجرة يهود أوروبا الشرقية إلى فلسطين .

١٨٤٠ م برنامج اللورد شافتسبري إلى مؤتمر لندن بشأن توطين اليهود في فلسطين على قاعدة أرض بلا شعب لشعب بلا أرض .

١٨٤٤ م البرلمان الإنجليزي يؤلف لجنة «إعادة أمة اليهود إلى فلسطين» .

١٨٤٥م نشر مشروع إدوارد متفورد «إقامة دولة يهودية متكاملة في فلسطين تحت الحماية الإنجليزية المؤقتة إلى أن تتمكن هذه الدولة من الوقوف على قدميها.

١٨٦٠م صدور كتاب إرنست لاراهان المستشار الخاص لنابليون الثالث «المسألة الشرقية: إعادة بناء الأمة اليهودية».

١٨٦٥م تأسيس صندوق استكشاف فلسطين في لندن برعاية الملكة فكتوريا ورئيس أساقفة كانتربري.

١٨٦٦م قيام أول بعثة مسيحية أمريكية بقيادة آدم للاستيطان في فلسطين مع ١٥٠ قسيساً أمريكياً.

١٨٦٧م إقامة مستوطنة أمريكية في فلسطين بمشاركة ٧٠ شخصية دينية.

١٨٧٨م نشر كتاب «عيسى قادم» للقس وليم بلاكستون الذي ترجم إلى ٤٠ لغة، وكان أكثر الكتب انتشاراً في القرن التاسع عشر بعد الكتاب المقدس.

١٨٨٠م صدور كتاب «أرض جلعاد» للورنس أوليفنت عضو البرلمان الإنجليزي ووزير الخارجية، والذي يقترح إقامة مستوطنة يهودية على مساحة مليون ونصف المليون فدان إلى الشرق من نهر الأردن، تكون تحت السيادة العثمانية وتحت الحماية البريطانية، يهاجر إليها يهود روسيا ورومانيا.

١٨٨١م اغتيال القيصر الروسي الإسكندر الثاني وتعرض يهود روسيا للاضطهاد.. والهجرة.

١٨٨٢م مهمة القس الإنجليزي هشر لدى السلطان عبدالحميد في القسطنطينية ومحاولة إقناعه بتسهيل هجرة اليهود إلى فلسطين.

١٨٨٢م المؤتمر الأول لرجال الدين المسيحيين من أجل «إيجاد حل للمسألة اليهودية».

١٨٨٧ م بلاكستون يؤسس في شيكاغو منظمة «البعثة العبرية نيابة عن إسرائيل» من أجل حث اليهود على الهجرة إلى فلسطين، وهذه البعثة مستمرة حتى اليوم باسم «الزمالة الأمريكية المسيحية».

١٨٨٨ م زيارة بلاكستون لفلسطين ورفع شعار: أرض بلا شعب لشعب بلا أرض.

١٨٩١ م مذكرة بلاكستون إلى الرئيس الأمريكي بنيامين هاريسون ووزير خارجيته جيمس لين: العمل على تخفيف معاناة الشعب اليهودي بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، وفي المذكرة: لماذا لا تعيد الدول التي أعطت بموجب معاهدة برلين ١٨٧٨ بلغاريا للبلغاريين، والصرب للصربيين، وفلسطين لليهود؟

١٨٩٤ م صدور كتاب الدبلوماسي الإنجليزي وليم هشر: «إعادة اليهود إلى فلسطين» تنفيذًا للنبوءات الدينية.

١٨٩٦ م صدور كتاب تيودور هرتزل: «الدولة اليهودية».

١٨٩٧ م انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول في بال في سويسرا.

١٩٠٣ م تشمبرلين يعرض على هرتزل الاستيطان اليهودي في العريش في سيناء.

١٩٠٣ م المنظمة الصهيونية ترفض العرض، فيقدم تشمبرلين عرضًا بتحويل أوغندا إلى وطن يهودي. وهو أول عرض تقدمه دولة لليهود رسميًا لإقامة كيان يهودي خاص.

١٩٠٤ م لقاء البابا بولس العاشر مع تيودور هرتزل.

١٩١٦ م لويد جورج رئيسًا للحكومة الإنجليزية وآرثر

جيمس بلفور وزيرًا للخارجية: مفاوضات إنجليزية مع الحركة الصهيونية.

١٩١٦ م اتفاق سايكس-بيكو باقتسام الإمبراطورية العثمانية

بين فرنسا وبريطانيا .

١٩١٧م صدور وعد بلفور بمنح اليهود وطنًا قوميًا في فلسطين .

١٩١٨م رسالة الرئيس الأمريكي وودرو ولسون إلى زعيم الحركة الصهيونية الحاخام ستيفن وايز بتأييد وعد بلفور .

١٩١٨م ولسون يعلن رسميًا التزامه بتنفيذ وعد بلفور .

١٩١٩م مؤتمر السلام في باريس - فرساي - بعد الحرب العالمية الأولى .

١٩٢٠م مؤتمر سان ريمو لإدخال تعديلات تجميلية على اتفاق سايكس - بيكو .

١٩٢٢م عصبة الأمم تقرر الانتداب البريطاني على فلسطين .

١٩٢٢م صدور قرار عن مجلس النواب الأمريكي بضرورة «منح اليهود الفرصة التي حرموا منها لإعادة إقامة حياة يهودية وثقافة خاصة في الأرض اليهودية القديمة» .

١٩٢٢م إعلان المصادقة الأمريكية على وعد بلفور .

١٩٢٢م الفاتيكان يوجه مذكرة رسمية إلى عصبة الأمم ينتقد فيها إقامة وطن لليهود في فلسطين .

١٩٣٠م تأسيس منظمة «الاتحاد الأمريكي من أجل فلسطين» للدفاع عن قضية الوطن القومي اليهودي .

١٩٣٢م تأسيس اللجنة الأمريكية - الفلسطينية من أجل إعداد الرأي العام الأمريكي - من غير اليهود - للعمل من أجل إعادة اليهود إلى فلسطين .

١٩٣٦م المؤتمر المسيحي الأمريكي يصدر إعلانًا بدعوة المجتمعات المتحضرة إلى مساعدة اليهود الفارين من ألمانيا وأوروبا الشرقية «للعودة إلى فلسطين ملاذهم الطبيعي» .

١٩٣٨م فشل مؤتمر إيفيان لبحث مشكلة اللاجئين في أوروبا .

١٩٤٢م مؤتمر بلطيمور في نيويورك «لمجلس الطوارئ في المنظمة الصهيونية». المؤتمر يرفض التقسيم وثنائية الدولة الفلسطينية، ويطالب بكمونولث يهودي داخل الحدود التاريخية لفلسطين.

١٩٤٣م انعقاد مؤتمر برمودا بضغط من روزفلت وإقرار حدود الهجرة إلى أوروبا وأمريكا، وفتح أبواب الهجرة أمام اليهود إلى فلسطين.

١٩٤٣م مذكرة من الفاتيكان إلى الحكومة الأمريكية تجدد معارضة إنشاء دولة يهودية في فلسطين.

١٩٤٤م الحكومة الأمريكية ترفض الكتاب الأبيض الإنجليزي حول تحديد هجرة اليهود وتطالب بإطلاقها.

١٩٤٤م مبعوث فاتيكانى - ماكماهون - إلى الولايات المتحدة للتحذير من خضوع الغرب إلى المطالب الصهيونية.

١٩٤٥م هارى ترومان يتولى الرئاسة فى أمريكا - بعد وفاة روزفلت - مجسداً الصهيونية السياسية بكل تفاصيلها.

١٩٤٧م ترومان يدعو إلى تحقيق أكثرية يهودية فى فلسطين، ويوجه مذكرة إلى رئيس الحكومة الإنجليزية اتلى للسماح لمائة ألف مهاجر يهودى بدخول فلسطين.

١٩٤٧م أرنست بيفن يعلن قرار حكومته إحالة قضية فلسطين إلى الأمم المتحدة.

١٩٤٧م الأمم المتحدة تصوت على تقسيم فلسطين إلى دولتين عربية ويهودية، وتدويل القدس، بأكثرية ٣٣، ومعارضة ١٣، وامتناع ١٠.

١٩٤٨م قيام الكيان الإسرائيلى، واعتراف أمريكى وسوفياتى فوري به.

- ١٩٤٨م قرض أمريكي بقيمة مائة مليون دولار لإسرائيل .
- ١٩٤٩م مساعدة أمريكية لإنماء إسرائيل بقيمة ١٥٠ مليون دولار .
- ١٩٤٩م إسرائيل تحتل جنوب النقب وتصل إلى شاطئ خليج العقبة في إيلات .
- ١٩٥٠م البيان الثلاثي الأمريكي - الإنجليزي - الفرنسي حول الشرق الأوسط .
- ١٩٥٤م أمريكا تفرض شروطاً على بيع الأسلحة إلى الدول العربية .
- ١٩٥٦م إسرائيل تشترك مع بريطانيا وفرنسا في العدوان الثلاثي على مصر بعد تأمين قناة السويس .
- ١٩٦٤م إسرائيل تمنع بالقوة العسكرية مشاريع تحويل روافد نهر الأردن في لبنان وسوريا .
- ١٩٦٧م إسرائيل تشن حرباً على مصر وسوريا والأردن وتحتل سيناء وغزة والضفة الغربية ومرتفعات الجولان . . والقدس .
- ١٩٦٩م إسرائيل تغير بطائرات أمريكية على المخيمات الفلسطينية في لبنان .
- ١٩٦٩م محاولة إحراق المسجد الأقصى في القدس .
- ١٩٧٠م حرب الاستنزاف على جبهة قناة السويس بين مصر وإسرائيل .
- ١٩٧٢م المؤتمر الأول للمعمدانيين الجنوبيين في أمريكا يعلن أنه يعتبر «الاسامية معادية للمسيحية ، وأن المجتمع الإنجيلي حليف لطموحات إسرائيل» .
- ١٩٧٣م حرب رمضان .
- ١٩٧٤م اتفاقيات فك الاشتباك بين القوات الإسرائيلية والمصرية والسورية .

- ١٩٧٥ م صدور قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة باعتبار الصهيونية شكلاً من أشكال العنصرية والتمييز العنصري.
- ١٩٧٦ م كارتر يعلن إيمانه بعقيدة «الولادة الثانية» كمسيحي.
- ١٩٧٦ م وصول كارتر إلى الرئاسة وإعلانه «أن تأسيس إسرائيل المعاصرة هو تحقيق للنبوذة التوراتية».
- ١٩٧٧ م مناحيم بيغن في رئاسة الحكومة الإسرائيلية: إطلالة التطرف الديني اليهودي.
- ١٩٧٧ م زيارة السادات إلى إسرائيل.
- ١٩٧٨ م مؤتمر كامب دافيد بين مصر وإسرائيل برعاية أمريكية.
- ١٩٧٨ م الاجتياح الإسرائيلي لجنوب لبنان.
- ١٩٧٩ م معاهدة السلام المصري - الإسرائيلي.
- ١٩٧٩ م كارتر يعلن أمام الكنيست الإسرائيلي «أن أمريكا وإسرائيل تتقاسمان تراث التوراة».
- ١٩٨٠ م إسرائيل تضم القدس الشرقية وتعلنها عاصمة أبدية موحدة.
- ١٩٨٠ م تأسيس منظمة السفارة المسيحية الدولية - القدس في مؤتمر حضره ألف رجل دين مسيحي تقريباً من ٢٣ دولة.
- ١٩٨٠ م ريجان رئيساً للولايات المتحدة: انطلاقة جديدة للتطرف الديني الأمريكي.
- ١٩٨١ م إسرائيل تقصف المفاعل النووي في العراق.
- ١٩٨٢ م إسرائيل تجتاح لبنان بما فيه بيروت.
- ١٩٨٢ م ارتكاب مجازر صبرا وشاتيلا.
- ١٩٨٣ م الاتحاد العالمي للوثنيين يعلن من استوكهولم «عدم الالتزام بكل ما صدر عن لوثر بشأن اليهود».
- ١٩٨٣ م مؤتمر رؤساء الكنائس اللوثرية الأمريكية يعلن من

سانت لويس : «أسف اللوثريين وعدم علاقتهم بالملاحظات المتطرفة لمارتن لوثر التي أبداهما تجاه اليهود» .

١٩٨٤م ريجان يعلن عن «دور الدين في المجتمع الأمريكي»
برغم قانون فصل الدين عن الدولة .

١٩٨٤م ريجان يعبر عن إيمانه بنظرية هرمجدون ودور إسرائيل في معركة نهاية العالم واقترب العودة الثانية للمسيح المخلص .

١٩٨٥م تهجير اليهود الفلاشا من أثيوبيا عبر السودان إلى إسرائيل .

١٩٨٥م انعقاد المؤتمر الصهيوني المسيحي الأول في بال بسويسرا بمشاركة ٦٠٠ شخصية مسيحية من ٢٧ دولة .

١٩٨٧م قيام الانتفاضة الفلسطينية في الضفة الغربية وغزة .

١٩٨٨م منظمة التحرير الفلسطينية تعترف بحق إسرائيل في الوجود .

١٩٨٨م انتخاب مجلس السوفيات الأعلى بالإجماع ميخائيل جورباتشوف رئيسًا للاتحاد السوفياتي خلفًا لأندريه جروميكو .
١٩٨٨م موافقة الاتحاد السوفياتي على افتتاح مركز ثقافي يهودي في موسكو .

١٩٨٩م الولايات المتحدة تعلن عن امتلاك إسرائيل أسلحة نووية وكيميائية ذات تفجيرات عالية ، وأنها تتجه لإنتاج صاروخ أريحا ٢ بعد أن أنتجت أريحا ١ الذي يحمل رءوسًا نووية .

١٩٩٠م سقوط الشيوعية كنظام في أوروبا الشرقية .

١٩٩٠م فتح أبواب الهجرة اليهودية أمام يهود الاتحاد

السوفياتي إلى إسرائيل .

(١)

الصهيونية المسيحية الأوروبية

سقطت غرناطة بيد الإسبان في العام ١٤٩٢ م. على الفور بدأت محاكم التفتيش تفتك بالمسلمين وباليهود معاً. تركزت هجرة المسلمين على شمال إفريقيا (المغرب وتونس والجزائر)، ورافق المسلمين في هذه الهجرة أعداد كبيرة من اليهود، إلا أن مجموعات كبيرة أخرى منهم هاجرت إلى أوروبا.

المهاجرون اليهود من إسبانيا حملوا معهم الثروة العلمية، والثروة المالية التي جمعوها من حاضرة الأندلس، الثروتان معاً أسستا قاعدة التغلغل اليهودي في المجتمعات الأوروبية^(٩)، والذي وصل إلى الكنيسة نفسها، حتى إن الأدبيات الدينية اليهودية احتلت الموقع الممتاز في معركة الإصلاح الديني. نشر مارتن لوثر زعيم حركة الإصلاح ورائد المذهب البروتستانتي كتاباً في العام ١٥٢٣ م باسم «عيسى ولد يهودياً» قال فيه: «إن الروح القدس أنزل كل أسفار الكتاب المقدس عن طريق اليهود وحدهم».

إن اليهود هم أبناء الله، ونحن الضيوف الغرباء. ولذلك فإن علينا أن نرضى بأن نكون كالكلاب التي تأكل مما يتساقط من فئات مائدة أسيادها، كالمرأة الكنعانية تماماً»^(١٠).

٩- كانت فرنسا وحتى بريطانيا خاليتين من اليهود قبل نهاية القرن الرابع عشر:

انظر: Arthur Koestler, the thirteenth Tribe: The Khazaar Empire and its

Heritage, N.Y. Randon House, 1972, P.166

١٠- Martin luther, Saemtliche Werk, vol. 29, P.P 7 - 46

تغير موقف مارتن لوثر من اليهود فيما بعد، ويعكس الموقف الجديد كتابه اليهود وأكاذيبهم، الذي صدر في العام ١٥٤٤.

الأدبيات اليهودية التي تسربت إلى صميم العقيدة المسيحية تدور حول أمور ثلاثة: الأمر الأول: هو أن اليهود هم شعب الله المختار، وأنهم يكونون بذلك الأمة المفضلة على كل الأمم. الأمر الثاني: هو أن ثمة ميثاقاً إلهياً يربط اليهود بالأرض المقدسة في فلسطين، وأن هذا الميثاق الذي أعطاه الله لإبراهيم عليه السلام هو ميثاق سرمدي حتى قيام الساعة.

الأمر الثالث: هو ربط الإيمان المسيحي بعودة السيد المسيح بقيام دولة صهيون: أي بإعادة تجميع اليهود في فلسطين حتى يظهر المسيح فيهم.

هذه الأمور الثلاثة ألفت في الماضي، وهي تؤلف اليوم قاعدة الصهيونية المسيحية التي تربط الدين بالقومية، والتي تسخر الاعتقاد الديني المسيحي لتحقيق مكاسب يهودية.

ثم التهويد من خلال الحركة البروتستنتية أولاً، وبعد ذلك من خلال الحركة التطهيرية Puritanians، كانت الكنيسة الكاثوليكية تتمسك باعتقادها بأن ما يسمى بالأمة اليهودية قد انتهى، وأن الله طرد اليهود من فلسطين إلى بابل عقاباً على صلب المسيح. وكانت الكنيسة تعتقد أيضاً أن النبوءات الدينية التي تتحدث عن العودة تشير إلى العودة من بابل، وأن هذه العودة قد تمت بالفعل على يد الإمبراطور الفارسي قورش.

الفيلسوف الديني لهذا الاعتقاد هو القديس أوغسطين الذي كان يعتبر القدس مدينة العهد الجديد، وأن فلسطين هي إرث المسيح للمسيحيين.

الإصلاح الديني تنكر لهذا الاعتقاد، وطرح الإيمان بأن اليهود هم الأمة المفضلة، وأن عودتهم إلى أرض فلسطين تحقق وعد الله، وأن هذه العودة ضرورية لعودة المسيح وقيام مملكته مدة ألف عام (الألفية).

تكريسا لهذا التحول ، أصبح العهد القديم المرجع الأعلى لفهم العقيدة المسيحية وبلورتها ، وفتح باب تفسير نصوصه أمام الجميع لاستخراج المفاهيم الدينية دون قيود كذلك اعتبرت اللغة العبرية - باعتبارها اللغة التي أوحى بها الله ، واللسان المقدس Leshon Ha Hodesl الذي خاطب به شعبه المختار - هي اللغة المعتمدة للدراسة الدينية .

من خلال ذلك تغلغل الفكر اليهودي إلى قلب الحركة الدينية حتى إن الفيلسوف اليهودي الهولندي «هو جوغر ويتوس» ، نشر كتاباً عنوانه «حقيقة الدين المسيحي» سفه فيه التحقير المسيحي لليهودية ، وأبرز الجوامع المشتركة بين اليهودية والمسيحية الجديدة «البروتستنتية» (١١) .

١١- نشرت جريدة الأنوار اللبنانية بتاريخ ٨/٦/١٩٩٠ ، ص ٨ ، تعريفاً بكتاب تحت الطبع عنوانه: «الزوان في الكتاب المقدس» ، مؤلفه كميل خبان ، وذكرت الجريدة أن التعريف أعده مؤلف الكتاب نفسه ، وقد ورد فيه: «إن أئمة اليهود وضعوا مؤامرة سرية تهدف إلى القضاء على المسيحية بأساليب متعددة: ومنها: تحريف الإنجيل ، فقد أثبت الباحث المذكور أن رؤيا يوحنا ، وهي آخر الأسفار في الكتاب المقدس عند المسيحيين ، هو نبوءة كاذبة ومدسوسة ، كما أنها تؤلف إحدى حلقات تلك المؤامرة . وحقيقة الرؤيا ، أنها لم تكن في الأصل كتاباً واحداً ، كما هي عليه اليوم ، بل هي عبارة عن ثلاثة نصوص مستقلة ، دونت على مراحل ، ثم أعيدت صياغتها في سفر واحد في أواخر القرن الميلادي الأول ، وهذه النصوص هي:

١- النص الأول «الرسائل إلى الكنائس السبع» هو الإنجيل اليهودي - النصراني الذي انتشر نحو سنة ٥٧ م ، في كنائس غلاطية «تركيا» على يد رسل كذبة ، وهو «الإنجيل الآخر» الذي أشار إليه بولس الرسول في رسالته الشهيرة إلى أهل غلاطية «غلاطية ١: ٦ - ٧» ويدعو هذا الإنجيل إلى تطبيق شريعة موسى لأن خلاص الإنسان لا يتحقق بدونها .

النص الثاني: هو نبوءة عن قرب مجيء الدينونة «رؤيا ٥: ١» بشكل رسالة منحولة نسبت زوراً إلى القديس بولس الرسول ونشرت في كنيسة تسالونيكي سنة ٥٢ م ، وقد دحض بولس الرسول تلك النبوءة في رسالته الثانية إلى أهل تسالونيكي «٢ تس ٢: ١ - ٣» =

بعد انفصال الملك هنرى الثامن عن روما، اقتحمت حركة الإصلاح الدينى بريطانيا وتمركزت فيها. وهناك ظهرت أول دعوة لانبعث اليهود كأمة الله المفضلة فى فلسطين، على يد عالم اللاهوت اليهودى البريطانى توماس برايتمان (١٥٦٢ - ١٦٠٧م) فقد نشر كتاب Apocalypsis Apocalypscos، وهو الكتاب الذى قال فيه: إن الله يريد عودة اليهود إلى فلسطين ليعبدوه من هناك حيث يفضل الله أن تتم عبادته على أى مكان آخر.

تحلق حول هذه الدعوة عدد من الشخصيات البريطانية الأدبية والفكرية والسياسية، أحد هؤلاء، هنرى فنش^(١٢) الذى قال فى كتاب له صدر فى عام ١٦٢١ م: «ليس اليهود قلة مبعثرة، بل إنهم أمة. ستعود أمة اليهود إلى وطنها، وستعمر كل زوايا الأرض... وسيعيش اليهود بسلام فى وطنهم إلى الأبد»... منذ القرن السادس عشر، تجاوزت اليهودية حدود العقيدة الدينية، وأصبحت أمة ورمزاً للقومية، حتى الكتاب المقدس - العهد القديم - تحول منذ ذلك الوقت المبكر من كتاب دين إلى كتاب سياسى يقوم على قاعدة العهد الإلهى بالأرض المقدسة

=النص الثالث هو نبوءة قمرانية عن مجئ القيامة، كتبت سنة ٦٦ م، فى مطلع الحرب اليهودية الكبرى «٦٦ - ٧٠ م»، والهدف منها إقناع السلطات الرومانية بأن نصارى فلسطين هم المحرضون على الثورة ضد روما. وبعد سقوط أورشليم سنة ٧٠ م، وإقصاء الصدوقيين عن الزعامة الروحية للشعب اليهودى، تابع الفريسيون حريهم السرية ضد المسيحية. وفى أواخر عهد الإمبراطور دوميتيان «٨١ - ٩٦ م» جمعت النصوص الثلاثة المذكورة فى كتاب واحد «رؤيا يوحنا» بعدما أعيدت صياغتها وصبغت بصبغة مسيحية، ومن المعروف أن انتشار الرؤيا فى ذلك العهد، ترافق مع موجة من الاضطهادات قامت بها السلطات الرومانية ضد المسيحيين».

للشعب اليهودي المختار (١٣).

هذه المعتقدات الدينية المسيحية أصبحت جزءاً من عقيدة الكنيسة البروتستنتية الجديدة ومن جوهر طقوسها، ومن خلالها تحولت إلى قاعدة عامة للتربية الدينية، خرجت أتباعاً لها ومؤمنين بها من رجال السياسة والأدب والفكر، وشهدت المرحلة البيوريتانية في القرن السابع عشر العصر الذهبي لهذه المعتقدات بعد تراجعها الكبير في العهد الإليزابيثي Elizabethian Age، في هذه المرحلة ظهرت الطبعة الأولى لنسخة الملك جيمس من الكتاب المقدس، وبموجبها أصبح العهد القديم المصدر الأساسي إن لم يكن المصدر الوحيد للاجتهاد، ولاستنباط الأحكام والفلسفة الدينتين اللتين فتحتا أبوابهما بعد أن أبيح حق التأويل الشخصي على حساب إسقاط احتكار هذا الحق بالكنيسة عموماً وبالبابوية خصوصاً.

لعل أبرز مظاهر التطرف في هذا العهد هي:

١- استعمال العبرية لغة الصلاة في الكنائس وفي أثناء تلاوة الكتاب المقدس.

٢- تعميد الأطفال في الكنائس بأسماء عبرية بعد أن كان يتم تعميدهم بأسماء القديسين المسيحيين.

٣- نقل يوم الاحتفال الديني ببعث المسيح إلى يوم السبت اليهودي.

أما على الصعيد السياسي فإن مجموعة لفلرز Levellers، وهي مجموعة بيوريتانية جمهورية، طالبت الحكومة بأن تعلن التوراة دستوراً لبريطانيا.

وفي العام ١٦٤٩ م وجه من هولندا عالما اللاهوت البيوريتيان «التطهريان» الإنجليزيان جوانا وألينزر كارترايت Joanna and Elenezer Cartaright مذكرة إلى الحكومة البريطانية طالباً فيها «بأن يكون للشعب الإنجليزى ولشعب الأرض المنخفضة شرف حمل أولاد وبنات إسرائيل على متن سفنهم إلى الأرض التي وعد الله بها أجدادهم إبراهيم وإسحاق ويعقوب ومنحهم إياها إرثاً أبدياً».

تكمن أهمية هذه المذكرة في أمرين :
الأمر الأول : أنها تعبر عن مدى التحول في النظرة إلى فلسطين «والقدس» من كونها أرض المسيح المقدسة «التي قامت الحروب الصليبية بحجتها» إلى كونها وطنًا لليهود.

الأمر الثاني : أنها كانت أول تعبير عن التحول من الإيمان بأن عودة المسيح تحتم أن تسبقها عودة اليهود إلى فلسطين، وأن العودتين لن تتحققا إلا بتدخل إلهي، إلى الإيمان بأن هاتين العودتين «عودة اليهود وعودة المسيح» يمكن أن تتحققا بعمل البشر.

كان أوليفر كرومويل O. kromweli أول أهم سياسي بريطاني يتبنى مضمون هذه المذكرة، ذلك أنه كان على مدى عشر سنوات (١٦٤٩ - ١٦٥٨ م) رئيساً للمحفل البيوريتاني. وهو الذي دعا إلى عقد مؤتمر ١٦٥٥ م في الهوايت هول للتشريع لعودة اليهود إلى بريطانيا «أى إلغاء قانون النفي الذي اتخذه الملك إدوارد».

حضر المؤتمر إلى جانب كرومويل العالم اليهودي مناسح بن إسرائيل الذي ربط الصهيونية بالمصالح الاستراتيجية لبريطانيا، ومن خلال عملية الربط تلك تحمس كرومويل لمشروع التوطين اليهودي في فلسطين منذ ذلك الوقت المبكر.

اعتمد هذا الربط فيما بعد، حاييم وايزمان مع لويد جورج

«بعد عشرة أجيال». إن توظيف الدافع الديني لتحقيق مكاسب سياسية ذات بعد استراتيجي أسس القاعدة الثابتة للصهيونية المسيحية أولاً في بريطانيا «وأوروبا» وبعد ذلك في الولايات المتحدة.

في تلك الفترة المبكرة راجت أفكار دينية تقول إن المعاناة التي واجهتها بريطانيا في الحرب الأهلية التي سبقت ظهور الحركة البيوريتانية مردها إلى غضب الله بسبب سوء معاملة اليهود (١٤).

ألف ذلك الركيزة الدينية - السياسية - الفكرية الأولى للصهيونية المسيحية في بريطانيا، أما في أوروبا فقد قامت الركيزة في هولندا التي تكونت بعد الحرب الدينية بين الكاثوليكية الإسبانية والبروتستنتية الألمانية في العام ١٥٦٥ م بهزيمة القوات الكاثوليكية في العام ١٦٠٩ تكونت جمهورية هولندا على أساس المبادئ البروتستنتية الكالفينية «نسبة إلى اللاهوتي كالفن» (١٥). هذا الانتصار البروتستنتي أدى إلى انتشار تيار المسيحية الصهيونية في أوروبا، حتى إنه صدر في فرنسا كتاب للعالم الفرنسي فيليب جنتل دي لانجلير (١٦٥٦ -

١٤- يروج اليوم لمثل هذه الأفكار الدينية في الولايات المتحدة الأمريكية بالادعاء بأن الله ينعم على أمريكا بالقوة والثروة بسبب تأييدها لليهود ودعمها لإسرائيل، حول موضوع غضب الله على بريطانيا، انظر: Cecil Roths, England in Jewish History P. S

وحول موضوع الادعاء برضى الله عن أمريكا، انظر النبوءة والسياسة، ترجمة محمد السماك، - Prophecy and politics-G race Halsd ص ٨٧، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية.

١٥- جون كالفن John Calvin (١٥٠٩ - ١٥٦٤) أسس الكنيسة الكالفينية في جنيف وقسم الكنيسة البروتستنتية إلى قسمين، الحركة اللوثرية، والحركة الإصلاحية، وقد انتشرت الحركة الإصلاحية الكالفينية أولاً في سويسرا ثم في فرنسا واسكتلندا.

(١٧١٧) دعا فيه إلى مقايضة السلطان العثماني مدينة القدس بمدينة روما تسهيلاً لتوطين اليهود في فلسطين، وصدرت كتب مماثلة في ألمانيا والدول الإسكندنافية وخاصة في السويد والدانمارك^(١٦).

لم تقف أدبيات الصهيونية المسيحية عند حدود الكنيسة، فمن أجل تأصيل هذه الأدبيات وتعميمها في جميع شرائع المجتمع، كان لابد من بناء هيكل أدبي فوق قواعدها الفكرية، عكس ذلك ميلتون Milton في قصيدته الفردوس المفقود Paradise Lost حيث يقول:

«إن الله سيشق لليهود طريق البحر ليعودوا فرحين مسرورين إلى وطنهم، كما شق لهم طريق البحر الأحمر ونهر الأردن عندما عاد آباؤهم إلى أرض الميعاد، إنني أتركهم لعناية الله، وللوقت الذي يختاره من أجل عودتهم».

وبالإضافة إلى ميلتون، ترددت أفكار مشابهة في قصائد وأعمال أدبية للورد بايرون Lord Byron وكولريدج Colridge وألكسندر بوب Alexander Pope ووليم بليك Wiliam Blacke، كما ترددت في كتابات جان راسين Jean Racine وجاك بوسيه Jacque Boussuet.

وتعتبر رواية جورج إليوت George Eliot دانيال ديروندا daniel Deronda من الأدبيات التوراتية التي تنبأت بقيام إسرائيل جمهورية تسود فيها العدالة والحرية والرخاء.

هذه التوجهات فلسفها فلاسفة ألمانيا وبريطانيا وفرنسا الكبار في القرن السابع عشر حتى أصبحت جزءاً لا يتجزأ من

١٦- صدرت دعوة في الدانمارك للعالم هولجر بولي تحت دول أوروبا على تنظيم حملة صليبية ضد المسلمين وتوطين اليهود فيها بصفتهم أصحابها الشرعيين، وذلك تنفيذاً للميثاق الإلهي المعقود مع جدهم الأول إبراهيم.

القناعات التي تفرض نفسها في عملية اتخاذ القرار السياسي في الدوائر الحكومية في كل الدول الأوروبية .

من هذه التربية الفكرية نبتت «جمعية لندن لتعزيز المسيحية بين اليهود» في العام ١٨٠٧ ، وكان اللورد أنطوني إشلي كوبر (إيرل شافتسبري ١٨٨٥ - ١٨٠١ Lord Shaftesburey) أحد أبرز أركانها .

ففي العام ١٨٣٩ نشر مقالاً^(١٧) يقع في ثلاثين صفحة ، أكد فيه أن اليهود سيقون غرباء حتى يعودوا إلى فلسطين ، وأن الإنسان قادر على تحقيق إرادة الله بتسهيل هذه العودة ، وأن اليهود هم الأمل في تجديد المسيحية وعودة المسيح ، وفي هذا المقال أيضاً يرفع أنطوني كوبر ، ولأول مرة شعار «وطن بلا شعب لشعب بلا وطن» .

لم يكن كوبر «اللورد شافتسبري» وحيداً في دعواه في هذه المرحلة من القرن التاسع عشر ، كان يلتقى معه عدد كبير من الساسة واللوردات ، بينهم دوق كنت Duke of kent ولعل أبرزهم كان جلادستون Gladestone ، ذلك أنه في هذه الفترة توافرت ظروف التكامل بين العمل البشري من أجل تحقيق إرادة الله - بعودة اليهود إلى فلسطين والمصالح الاستراتيجية البريطانية في حماية الطريق إلى درة التاج البريطاني : الهند . وهو نوع من التزاوج بين الصهيونية - المسيحية ومصالح التاج البريطاني .

كان وزير خارجية بريطانيا اللورد بالمرستون palmerston (١٧٨٤ - ١٨٦٥) أبرز سياسي بريطاني يتبنى مشروع اللورد شافتسبري برغم أنه لم يكن من أتباع المدرسة الصهيونية

١٧- نشرت المقال وعنوانه State and Prospects of the Jews

مجلة Quarterly Review - London. January- March 1839

المسيحية، تولى بالمرستون تخطيط السياسة الخارجية البريطانية على أساس وراثة الإمبراطورية العثمانية «الرجل المريض» في طور التنافس على هذه التركة مع فرنسا وروسيا، فالجنرال نابليون كان أول رجل دولة أوروبي يدعو اليهود إلى إقامة وطن لهم في فلسطين خلال الحملة التي قام بها على مصر والشرق في العام ١٧٩٨. والبيان الذي وجهه إلى اليهود ودعاهم فيه «ورثة فلسطين الشرعيين» جاء قبل ١١٨ سنة من صدور وعد بلفور بإنشاء وطن قومي يهودي في فلسطين في العام ١٩١٧. كذلك فإن نابليون كان أول رجل دولة أوروبي يبنى موقفًا سياسيًا من نبوءات دينية يهودية وردت في سفر أشعيا Isaiah ويوئيل Joel.

وباختصار كان البيان أول ترجمة سياسية للصهيونية المسيحية وهي الترجمة التي انتزعت أول إقرار أوروبي بما يدعيه اليهود حقًا لهم في فلسطين.

برغم أن المشروع النابليوني لم يتحقق، فإن الدعوة روجت على نطاق واسع لفكرة البعث اليهودية وخاصة في عهد الملك لويس الرابع عشر على يد رئيس الحكومة كولبير Jean Colbert، ثم في عهد نابليون الثالث وعلى يد مستشاره الخاص لاهاران Laharanne Ernest (١٨).

كانت فرنسا تدعى حماية الأقليات المسيحية الكاثوليكية في الشرق، وكانت روسيا تدعى حماية الأقليات المسيحية الأرثوذكسية، ولم تكن الدعوة المسيحية الإنجيلية قد وصلت

١٨- نشر لاهاران في العام ١٨٦٠ كتاب:

.La Nouvelle Question D'Orient Reconstruction De La National Jwive

أبرز فيه المكاسب الاقتصادية التي تجنيها أوروبا من جراء إقامة وطن لليهود في فلسطين. ضارة الشرق المتداعية بحقنة من حضارة الغرب بواسطة اليهود.

إلى الشرق بعد ، فكان طبيعياً أن يبحث اللورد بالمرستون عن أقلية ما تدعى بريطانيا حمايتها ، وقد وجد في اليهود ضالته المنشودة ، وهكذا تكاملت المصلحة الاستراتيجية البريطانية مع الصهيونية المسيحية ، ووظفت النبوءات الدينية لتكون مدخلا إلى تحقيق هذا التكامل السياسي - الديني .

وهكذا أنشأ اللورد بالمرستون في العام ١٨٣٨ أول قنصلية لبريطانيا في القدس ، استجابة لإلحاح اللورد شافتسبري Shaftesbury Lord (١٩) .

اختار بالمرستون صهيونياً مسيحياً وصديقاً للورد شافتسبري هو وليم يونج wiliam Young ليكون أول نائب لقنصل بريطانيا في القدس .

واستجابة لطلب بالمرستون ، بعث يونج تقريراً عن حجم وأوضاع اليهود ليقرر - بالمرستون - في ضوء ذلك كيف يجعل من اليهود أقلية تحميها بريطانيا ، جاء في تقرير يونج (٢٠) أن عدد اليهود يبلغ ٩٦٩٠ شخصاً ، وأن حالتهم متردية وأنهم يعيشون على المساعدات التي تصل إليهم من الخارج .

لم يثبط مضمون التقرير عزيمة بالمرستون ، بل على العكس ، ذلك أنه عندما تلقى في العام نفسه مذكرة وزير البحرية البريطانية هنري إنس Henry Innes التي يدعو فيها دول أوروبا الشمالية وأمريكا للاقتداء بقورش ، وتنفيذ إرادة الله بعودة اليهود إلى فلسطين ، حول المذكرة إلى الملكة فكتوريا مستغلاً تربيتها الدينية على أساس العقيدة الصهيونية المسيحية .

١٩- كان اللورد شافتسبري زوج حماة اللورد بالمرستون، وهو أول من طرح شعار: «وطن بلا شعب لشعب بلا وطن» A Land Without a people to a people without a land.

وبضوء أخضر من بالمرستون كذلك ، روجت الصحافة البريطانية لهذه المذكرة ونشرتها وعلقت عليها على مدى عام كامل . . وبذلك أوجد بالمرستون أرضية ملكية - برلمانية - حزبية - شعبية لمشروع التوطين . غير أن يهود بريطانيا وأوروبا لم يتجاوبوا معه ، ذلك أن الصهيونية اليهودية لم تكن قد ولدت بعد ، وكانت الأولوية لدى يهود بريطانيا وأوروبا الشمالية هي الحصول على الحرية الدينية والسياسية الكاملة وليس الهجرة إلى فلسطين ، فلجأ بالمرستون إلى يهود أوروبا الشرقية مستغلاً معاناة اليهود في روسيا ورومانيا الذين كانوا يتعرضون للاضطهاد عقب اغتيال القيصر الإسكندر الثاني في العام ١٨٨١ ونتيجة لتجذر المسيحية الأرثوذكسية وانغلاقها عن عملية الإصلاح الديني وعن المسيحية البروتستنتية الجديدة التي انبثقت عن هذه العملية .

ولتسهيل هذه الهجرة كان بالمرستون يحث السفير البريطاني في القسطنطينية بونسونبي Viscount John Ponsonby على إقناع السلطان العثماني بقبول هذه الهجرة «لما تحققه من فوائد اقتصادية وسياسية للسلطنة» (٢١) .

أفرزت سلسلة الموجات الأدبية والفلسفية واللاهوتية أنصاراً سياسيين لصهيونية المسيحية في وزارة الخارجية البريطانية ، أمثال إدوارد متفورد Edward Mitford الذي أعد في العام ١٨٤٥ مشروعاً متكاملًا لإقامة دولة يهودية في فلسطين على أساس أن تكون هذه الدولة في المرحلة الأولى تحت الوصاية البريطانية .

٢١- تذكر مذكرة بالمرستون إلى السفير بونسونبي ١٨٤٠/٨/١١ «رقم ١٣٤» ٨٧/٣٩٠ «أن الثروة التي سيجلبها معهم تضاعف من ممتلكات السلطان، ولأن ولاء اليهود للسلطان سيقطع الطريق أمام الخطط الشريرة التي يعدها محمد علي «والى مصر» أو خلفه في المستقبل» .

وأوضح المشروع المزايا الاستراتيجية الأمنية والاقتصادية التي تحققها بريطانيا من جراء ذلك .

وفي العام ١٨٤١ كتب أحد أنصار الصهيونية المسيحية وهو تشارلز . هـ . تشرشل^(٢٢) Charles Henry Cherchill رسالة إلى رئيس المجلس اليهودي في لندن يقول له فيها : إن استعادة اليهود لوجودهم كشعب في فلسطين أمر ميسور إذا توافر عاملان اثنان : أولهما أن يتولى اليهود أنفسهم وبالإجماع طرح موضوع العودة على الصعيد العالمي ، وثانيهما أن تبادر القوى الأوروبية إلى دعمهم تحقيقاً لهذا الهدف .

هذه الدعوة كانت أول تحريض من الصهيونية المسيحية لقيام الصهيونية اليهودية ، وكانت كذلك أول تحريض للعمل على تجميع القوى الأوروبية وراء مشروع الاستيطان اليهودي في فلسطين .

بدأ التمهيد للاستيطان من خلال بعثات الاستكشاف إلى فلسطين التي كان يمولها منذ العام ١٨٦٥ «صندوق اكتشاف فلسطين» . ركزت التقارير التي وضعتها البعثات الأولى على أمرين :

الأمر الأول : هو أن حالة التردى والتقهقر في فلسطين سببها المسلمون العرب .

الأمر الثاني : هو أن عودة اليهود إلى فلسطين ستعيد إليها الازدهار والعمران .

ولعل أكثر خطط البعثات الاستكشافية تفصيلاً تلك التي وضعها لورنس أوليفنت ١٨٨٨ - ١٨٢٩ Lawrence Oliphant في كتابه : «أرض جلعاد» Land of Gelead والتي اقترح فيها إقامة

مستوطنة يهودية على مساحة مليون ونصف المليون فدان شرقي نهر الأردن لتوطين يهود روسيا ورومانيا . أما بالنسبة لسكان هذه المنطقة من العرب فاقترح تجميعهم في منطقة خاصة بهم ، كما جرى للهنود الحمر في أمريكا .

كان لابد ، بعد وضع هذه الدراسات التفصيلية ، من إقامة جسر بين الصهيونية المسيحية واليهود ، لحثهم على تمويل مشاريع الاستيطان ، والمساهمة فيها ، والتجاوب معها . من أجل ذلك عهد رئيس الوزراء البريطاني دزرائيلي «اللورد بيكونسفيلد» ووزير خارجيته اللورد سالزبرى إلى أوليفنت أن يتفاوض مع السلطان العثماني من أجل الحصول على موافقته على توطين اليهود في فلسطين .

في الوقت الذي كان أليفنت يحاول فيه الحصول على تأشيرة دخول لليهود من السلطان ، كان قسيس أنكليكاني يشغل منصب ملحق في السفارة البريطانية في فيينا هو وليم هـ . هشر William Hechler (١٨٤٥ - ١٩٣١) ينظم عملية تهجير اليهود الروس إلى فلسطين . ففي العام ١٨٨٢ عقد في فيينا مؤتمراً مسيحياً من أجل هذا الموضوع . وفي العام ١٨٩٤ نشر كتاباً عنوانه «عودة اليهود إلى فلسطين» وطرح هذه العودة على قاعدة تطبيق النبوءات الدينية الواردة في العهد القديم . هذا الكتاب صدر قبل عامين من صدور كتاب تيودور هرتزل «الدولة اليهودية» ، وهو الكتاب الذي ترجم لأول مرة الفكر الصهيوني اليهودي الذي تبلور بعد ذلك في مؤتمر بال في العام ١٨٩٧ .

وظف هشر علاقاته لحساب هرتزل ، ورتب له لقاء مع دوق بادن Duke of Baden عم القيصر الألماني ولهم الثاني ، وهو اللقاء الذي فتح له أبواب القيصر مرتين في القسطنطينية وفي القدس في العام ١٨٩٨ . كان هم هرتزل أن يجعل من قيصر

ألمانيا قورش الثاني ، وأن يقنعه بالضغط على السلطان العثماني لمنح اليهود حق الاستيطان في فلسطين ، ولكن هرتزل فشل في ذلك .

تزامن الإعلان عن البرنامج السياسي للمؤتمر الصهيوني اليهودي الأول^(٢٣) مع تدفق يهود أوروبا الشرقية إلى بريطانيا والولايات المتحدة . لم يكن جوزف تشمبرلين (١٨٣٦ - ١٩١٤) مرتاحاً لهذه الهجرة إلى بريطانيا خوفاً من الانعكاسات السلبية على الاقتصاد البريطاني ومن مزاحمة الأيدي الرخيصة للمهاجرين اليهود للطبقة العاملة في بريطانيا .

وبرغم أن تشمبرلين لم يكن من غلاة الصهيونية المسيحية ، فإنه وجد في تبنى المشروع الصهيوني وسيلة لتمويل المهاجرين اليهود من بريطانيا إلى العريش . . أو حتى إلى أوغندا في شرق أفريقيا ، فالمهم هو حل مشكلة المهاجرين اليهود من روسيا ورومانيا ومن بقية دول شرق أوروبا ، دون التسبب في إثارة مشكلة توطين لليهود في بريطانيا .

في هذا الإطار تم لقاء تشمبرلين مع هرتزل في لندن ، وهو اللقاء الذي يعيد إلى الأذهان لقاء كرومويل مع مناسح بن إسرائيل ، كتعبير عن تلاقى مصالح الصهيونية المسيحية مع الصهيونية اليهودية في تطلعاتهما نحو أهداف مشتركة . كذلك فإن هذا اللقاء أرسى قاعدة اللقاء الذي سيتم في العام ١٩١٤ بين آرثر بلفور «الذي خلف عمه اللورد سالزبري في رئاسة الحكومة

٢٣- ينص البرنامج على ما يأتي: «تكافح الصهيونية من أجل إنشاء وطن للشعب اليهودي في فلسطين يحميه القانون. ويرى المؤتمر أن الوسائل التالية تؤدي إلى الغاية المنشودة: ١- تنظيم وربط جميع اليهود عن طريق المؤسسات المحلية أو الدولية، طبقاً لقانون كل دولة. ٢- تعزيز وتشجيع الإحساس والشعور القومي اليهودي. ٣- اتخاذ الخطوات التمهيدية للحصول على موافقة حكومية حين يكون ذلك ضرورياً للوصول إلى أهداف الصهيونية» .

البريطانية في العام ١٩٠٢» وحاييم وايزمان.

كان بلفور أول مسئول بريطاني يمنح اليهود أرض «أوغندا» لإقامة دولتهم عليها. غير أن المؤتمر الصهيوني الرابع الذي عقد في العام ١٩٠٣، رفض هذا العرض تمسكا منه بأرض فلسطين. استجاب بلفور للطلب الصهيوني بسرعة وبسهولة. حتى أنه أعد مذكرة حول موضوع الاستيطان اليهودي في فلسطين قال فيها^(٢٤):

«ليس في نيتنا حتى مراعاة مشاعر سكان فلسطين الحاليين، مع أن اللجنة الأمريكية تحاول استقصاءها. إن القوى الأربع الكبرى ملتزمة بالصهيونية. وسواء أكانت الصهيونية على حق أم على باطل، جيدة أم سيئة، فإنها متأصلة الجذور في التقاليد القديمة العهد والحاجات الحالية، وآمال المستقبل، وهي ذات أهمية تفوق بكثير رغبات وميول السبعمئة ألف عربي الذين يسكنون الآن هذه الأرض القديمة».

أما بالنسبة للاستيطان اليهودي في فلسطين، فقد أوصى في الجزء الأخير من هذه المذكرة: «إذا كان للصهيونية أن تؤثر على المشكلة اليهودية في العالم فينبغي أن تكون فلسطين متاحة لأكثر عدد من المهاجرين اليهود. ولذا فإن من المرغوب فيه أن تكون لها السيادة على القوة المائية التي تخصها بشكل طبيعي سواء أكان ذلك عن طريق توسيع حدودها شمالاً أم عن طريق عقد معاهدة مع سورية الواقعة تحت الانتداب والتي لا تعتبر المياه المتدفقة من «الهامون» جنوباً ذات قيمة بالنسبة لها. وللأسباب

٢٤- ريجينا الشريف، الصهيونية غير اليهودية - ترجمة أحمد عبدالله عبدالعزيز

١٩٨٢ ص ١٥٩ - ١٦٠، انظر:

E. Woodward and J. Butler Documents on British Foreign Policy, 1919-1939 (London 1952) first Series, vol. p. p. 7- 340

ذاته يجب أن تمتد فلسطين لتشمل الأراضي الواقعة شرقي نهر الأردن».

اتخذ القرار البريطاني بإصدار بيان عام من السياسة البريطانية في فلسطين في العام ١٩١٦ أثناء رئاسة لويد جورج للحكومة البريطانية. من أجل ذلك جرت مفاوضات رسمية بين الحكومة - وكان وزير الخارجية آرثر بلفور - وبين المنظمة الصهيونية - اليهودية.

لم تكن بريطانيا تستطيع احتلال فلسطين عسكريا لتناقض الاحتلال مع الروح الجديد الذي بثته مبادئ الرئيس الأمريكي وودرو ويلسون، ولم يكن بإمكان يهود فلسطين في ذلك الوقت إعلانها دولة لهم. المصالح البريطانية والصهيونية المشتركة اقتضت فرض الانتداب البريطاني عليها تمهيداً للوقت المناسب الذي يتمكن فيه اليهود من إعلان الدولة. فالانتداب يحقق لبريطانيا هدفاً استراتيجياً يقع في إطار ممارسة «شرف» تحقيق وعد الله إلى اليهود بإعادة أرض فلسطين إليهم.

وهكذا صدر في الثاني من نوفمبر - تشرين الثاني ١٩١٧ وعد بلفور الشهير. حتى إذا أقر الانتداب البريطاني على فلسطين في مؤتمر سان ريمو في العام ١٩٢٠ يكون الوعد جزءاً منه. وحتى إذا منحت عصبة الأمم بريطانيا في العام ١٩٢٢ حق الانتداب رسمياً تكون الصعوبة قد أقرت ضمناً أيضاً مضمون الوعد بإقامة وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين.

وتمهيداً لذلك كله، حرصت اتفاقية (مارك) سايكس - (جورج) بيكو في العالم ١٩١٦، والتي قسمت الإمبراطورية العثمانية بين بريطانيا وفرنسا وروسيا أن تضع فلسطين وحدها دون سائر أجزاء الوطن العربي من الإمبراطورية، تحت إدارة دولية، وفي ذلك إشارة أولى وواضحة إلى فصل فلسطين

عن الوطن العربي .

لقد كان مارك سايكس تلميذاً للدكتور موسى غاستر وهو لاهوتى يهودى رومانى تبوأ مركز كبير حاخامى السفارديم فى لندن . ومن غاستر تشرب سايكس مبادئ وروح الصهيونية المسيحية قبل أن يعين وكيلاً للوزارة فى مجلس الحرب .

قبل اتفاقية كامب ديفيد ١٩٧٩ بين مصر وإسرائيل والولايات المتحدة ، التى نصت على منح الفلسطينيين حكمًا ذاتيًا فى الضفة الغربية وغزة ، وقبل التفسير الإسرائيلى لمعنى الحكم الذاتى بأنه حكم الغرباء على أرض إسرائيلية ، أنكر وعد بلفور وجود الشعب الفلسطينى ، ولم يذكر كلمة العرب ، بل أشار إلى ما سماه جاليات غير يهودية موجودة فى فلسطين ، واعترف باليهود كأمة ، وباليهودية كقومية .

وبموجب ذلك أصبحت (منذ صدور البيان وتكريسه دولياً) كل حقوق المواطنة لليهود (غير الموجودين) واستجهد المواطنون الموجودون اسماً وحقوقاً . ذلك أنه بالنسبة إلى سكان فلسطين من العرب المسلمين والمسيحيين ، نص وعد بلفور على ضمان حقوقهم المدنية والدينية . . وهو الضمان الذى يمنح للغرباء الذين يعيشون على أرض ليست لهم . . وهو الضمان نفسه الذى نصت عليه اتفاقية كامب ديفيد بعد ٦٢ عاماً !! فور صدور وعد بلفور ، تحرك اليهود لتنفيذه ، فى آذار-مارس من العام ١٩١٨ ، وصل إلى فلسطين وفد يهودى يضم الدكتور وايزمان weizman وجيمس دى روتشيلد J. de Rotshild وإسرائيل سيف I. Sieff للعمل كلجنة ارتباط بين اليهود والسلطة العسكرية البريطانية . فى هذه الفترة كان عدد اليهود يبلغ ٥٥ ألف شخص فقط أى نحو ٨ بالمائة من السكان البالغ عددهم ٧٠٠ ألف شخص ، ٩٢ بالمائة منهم من المسلمين والباقي من المسيحيين .

بعد ذلك عينت بريطانيا يهوديا لشغل منصب المندوب السامي في فلسطين. كان هيربرت صموئيل Herbert Samuel أول يهودي يحكم فلسطين منذ ألفى عام. وكان هدفه أن يستوطن فلسطين أربعة أو خمسة ملايين يهودي. ولتنفيذ ذلك كانت الأراضي العربية تصدر من أصحابها وتحول إلى مستوطنات لليهود. وفي إحدى الحالات أجلى ٨ آلاف عربي عن أرض مساحتها ٥٠ ألف هكتار، ودفع لكل منهم مبلغ ثلاثة جنيهاً وعشر شلنات كتعويض (٢٥).

وبدعم من صموئيل تحولت الوكالة اليهودية التي كانت مهمتها بموجب نظام الانتداب ارشاد المستوطنين اليهود اجتماعيًا واقتصاديًا، إلى دولة داخل الدولة.. نتيجة لذلك كله تضاعف عدد اليهود في فلسطين ووصل إلى ١٧ بالمائة من السكان (١٧٠ ألفاً) وعندما قاوم العرب الهجرة والاستيطان ومصادرة الأراضي وتواطؤ المندوب السامي، كون اليهود المنظمات الإرهابية شترن Stern وأرغون Irgun Zvie Leumi وهي المنظمات التي تحولت إلى النواة الأولى للجيش الإسرائيلي في العام ١٩٤٨، وما بعده.

(٢)

الصهيونية المسيحية الأمريكية

فى العام ١٤٩٢ اكتشفت أمريكا . وهو العام نفسه الذى سقطت فيه الأندلس . إذا كانت محاكم التفتيش الكاثوليكية قد دفعت باليهود إلى أوروبا هرباً بدينهم ، فإن الصراع الدينى فى أوروبا حمل فى مطلع القرن السابع عشر المتهودين الجدد إلى العالم الجديد . وكما كانت لهجرة يهود الأندلس آثار مباشرة على حركة الإصلاح الدينى وعلى حكومات الدول التى هاجروا إليها (وخاصة فى فرنسا وبريطانيا والأراضى المنخفضة - هولندا وبلجيكا) كذلك كان لهجرة أتباع الدين الجديد من البروتستانت والمتطهرين آثار مباشرة على بلورة الشخصية الأمريكية بالصورة التى تقوم عليها حتى اليوم .

المهاجرون الأوائل أعطوا أبناءهم أسماء عبرانية (إبراهيم ، سارة .. العازر .. إلخ) وأطلقوا على مستوطناتهم أسماء عبرانية (حبروت .. سالم وكنعان .. إلخ) وفرضوا تعليم اللغة العبرية فى مدارسهم وجامعاتهم . حتى إن أول دكتوراه منحتها جامعة هارفارد فى العام ١٦٤٢ كانت بعنوان « العبرية هى اللغة الأم »^(٢٦) وأول كتاب صدر فى أمريكا كان « سفر المزامير Psalm » وأول مجلة كانت مجلة « اليهودي . The Jew »

فى المرحلة الأولى اعتبر هؤلاء الإنجيليون العالم الجديد

بمثابة كنعان الجديدة. (New Canaan) (٢٧) واعتبروا ملك بريطانيا جيمس الأول الذي اضطهدهم بمثابة فرعون الجديد، واعتبروا إنجلترا التي هربوا منها بمثابة مصر، واعتبروا الهنود الحمر في أمريكا بمثابة الأسباط العشرة المفقودة من بني إسرائيل. حتى إنه عندما تاهت إحدى الجماعات البروتستنتية من طائفة المورمون في الصحراء الأمريكية قبل أن تصل إلى ولاية يوتا وتستقر فيها، شبهت عملية التيه بتلك التي تعرض لها بنو إسرائيل في صحراء سيناء، ولذلك أطلقت هذه الجماعة على نهر كولورادو الاسم التوراتي القديم نهر باشان.

إلا أن اليهود الأصليين سرعان ما صححوا هذه الاعتقادات، فسبق قيام الكنائس اليهودية قيام الكنائس الإنجيلية ذاتها، وخلال الحرب الأهلية الأمريكية، كان القساوسة يشبهون خلال مواعظهم الكنسية الشعب الأمريكي بالشعب اليهودي الذي يكافح من أجل استرجاع أرض الميعاد.

وقد بلغ من تأثير الصهيونية المسيحية على الرواد الأوائل في أمريكا حدا اقترح معه الرئيس جيفرسون اتخاذ رمز لأمريكا يمثل أبناء إسرائيل تظللهم غيمة في النهار، وعمود من نور في الليل بدلا من شعار النسر، وذلك توافقاً مع ما يتضمنه سفر الخروج (٢٨).

تبنى مؤسس الكنيسة المورمونية، القس جوزف سميث نظرية البعث اليهودي في فلسطين، وارتفعت منذ العام ١٨١٤ الدعوات

٢٧ - Regina S. Sharif, Non Jewish zionism: Its Roots in western History. (London: zed Press, 1983) P. 90

٢٨ - جاء في سفر الخروج الإصحاح ١٣ الآية ١٢: كان الرب يسير أمامهم (أمام بني إسرائيل) خلال النهار في عمود من سحب ليهديهم الطريق، ويسير أمامهم خلال الليل في عمود من نار ليضيء لهم.

الأمريكية الإنجيلية لتوطين اليهود في فلسطين. أحد رواد الحركة الصهيونية المسيحية الأمريكية القس وردر جريسون Warder Gresson هاجر من أمريكا إلى فلسطين واعتنق اليهودية، وعمل مستشارًا للحكومة الأمريكية في القدس، ثم قنصلًا عامًا لها في العام ١٨٥٢. وكان نشاطه يتمركز حول موضوع واحد وهو إقامة وطن يهودي في فلسطين^(٢٩) وتحقيقا لذلك، أنشأ مستوطنة زراعية يهودية، ووطن إنجيليين أمريكيين ويهودًا فيها، بدعم من مؤسسة يهودية - مسيحية - إنجليزية.

توالى بعد ذلك حركات الاستيطان بتمويل من رجال أعمال أمريكيين، فقامت مستوطنة «جبل الأمل» إلى الغرب من يافا في العام ١٨٥٠. وكان إقبال الصهاينة المسيحيين على الاستيطان أشد من إقبال الصهاينة اليهود، وذلك «انتظارًا» للعودة الثانية للمسيح.

أبرز أعلام المستوطنين الأوائل هي كلوريندا ماينور Clorinda Minor والرحالة وليم لنش William Linsh ورون جريسون Rone Grisson إلا أن اليهود لم يتجاوبوا مع هذه الدعوات المبكرة للهجرة. كانت الأولوية عندهم هي استيعاب المهاجرين اليهود الذين يفدون من روسيا ورومانيا.

وكما كان الأمر في أوروبا، فإن المشكلة لم تكن في إقرار مبدأ عودة اليهود إلى فلسطين، بل في إقناع اليهود بتسريع هذه العودة من أجل تسريع العودة الثانية للمسيح.

يعتبر جون سكوفيلد Cyrus Ingerson Scofield الأب اللاهوتي للصهيونية المسيحية في الولايات المتحدة. وهو

٢٩ - Henry Feingold, zion in America, the Jewish Expeience from

(Colonail Times to the present (N. Y. Hippocrine Book 1974. P. 198

يستمد تعاليمه من قس إيرلندي يدعى جون نلسون داربي Darby John Nelson من كنيسة إنجلترا. تقوم هذه التعاليم على الاعتقاد بأن لله برنامجين وشعبين يتعامل معهما. وأن إسرائيل هي مملكة الله على الأرض. وأن الكنيسة المسيحية هي مملكة الله في السماء.

في العام ١٩٠٩ نشر سكوفيلد «إنجيله» الذي يفلسف فيه هذه المعتقدات وتولت طبعه Oxford University Press of New York كان القس وليم بلاكستون William ١٨٤١-١٩٣٥ E. Blackston أبرز دعاة العودة اليهودية إلى فلسطين، وكان أول من مارس الضغط السياسي في الولايات المتحدة من أجل تسريع وتسهيل هذه الدعوة. وكان أول من بشر من خلال كتابه «المسيح آت Jesus is Coming» الذي صدر في العام ١٨٧٨، وذلك من خلال دعوته إلى الربط بين عودة اليهود إلى فلسطين وعودة المسيح إلى الأرض.

في العام نفسه الذي صدر فيه هذا الكتاب (٣٠) أسس بلاكستون منظمة تدعى «البعثة العبرية من أجل إسرائيل» Hebrew Mission on Behalf of Israel ولا تزال هذه المنظمة مستمرة في مهمتها حتى اليوم باسم جديد هو «الزمالة اليسوعية الأمريكية American messianic fellowship» وتعتبر هذه المنظمة حتى اليوم قلب جهاز الضغط (Lobby) الصهيونية في الولايات المتحدة.

ولعل أول عمل من أعمال الضغط الذي مارسه بلاكستون عبر منظمته هو جمع تواقيع شخصيات أمريكية من جميع أنحاء الولايات المتحدة تأييداً لإقامة وطن يهودي في فلسطين. حملت

العريضة تواريخ ١٣ ٤ شخصية أمريكية من السياسيين وأعضاء الكونجرس والقضاة ورجال الأعمال والصحافيين، ورفعت إلى الرئيس الأمريكي بنجامين هاريسون في ٥ / ٣ / ١٨٩١. في ذلك الوقت كان يهود روسيا يتدفقون عبر أوروبا إلى أمريكا، وكانت تلك الهجرة تخلق القيادات الأمريكية. وقد جاءت عريضة بلاكستون بالحل. وهو : لماذا لا نعيد اليهود إلى فلسطين ثانية؟ الاحتجاج الذي قدمته إدارة الرئيس هاريسون إلى الحكومة الروسية بسبب سوء معاملة اليهود كان أول احتجاج أمريكي من هذا النوع. ولكن مادام حل مشكلة اليهود الروس لا يمكن إيجادها داخل روسيا، وما دامت الولايات المتحدة لم تكن راغبة في استيعاب المهاجرين، فلماذا لا يتم تحويلهم إلى فلسطين وتوطينهم فيها؟

عكس هذا الأمر التوافق بين الصهيونية المسيحية والمصالح الاستراتيجية للولايات المتحدة. وهو التوافق الذي ترجم فيما بعد موافقة في البيت الأبيض وفي الكونجرس (مجلس الشيوخ ومجلس النواب) على وعد بلفور.

في ٣١ / ٨ / ١٩١٨ بعث الرئيس الأمريكي وودرو ويلسون W. Wilson مذكرة إلى الحاخام ستيفن وايز S. Wise يبلغه فيها موافقته على وعد بلفور. جاء في المذكرة (٣١).

«راقبت باهتمام مخلص وعميق العمل البناء الذي قامت به لجنة وايزمان في فلسطين بناء على طلب الحكومة البريطانية. وأغتنم الفرصة لأعبر عن الارتياح الذي أحسست به نتيجة تقدم الحركة الصهيونية في الولايات المتحدة، والدول الحليفة منذ إعلان السيد بلفور باسم حكومته عن موافقتها على إقامة وطن

قومي لليهود في فلسطين ، ووعده بأن تبذل الحكومة البريطانية قصارى جهدها لتسهيل تحقيق ذلك الهدف مع الحرص على عدم القيام بأى عمل يلحق الأذى بالحقوق المدنية والدينية لغير اليهود في فلسطين ، أو حقوق اليهود ووضعهم السياسى فى دول أخرى» .

هذا الموقف للرئيس الأمريكى أملتة عليه فى الدرجة الأولى
تربيته الدينية كابن لقسيس إنجيلى يؤمن بأن الله أعطاه فرصة
تاريخية لتحقيق الإرادة الإلهية بمساعدة شعب الله المختار على
استعادة الأرض التى خصه الله بها .

أما الكونجرس الأمريكي فقد أيد ، بمبادرة من السيناتور هنري كابوت لودج رئيس لجنة العلاقات الخارجية ، وعد بلفور في يونيو - حزيران ١٩٢٢ ، وأصدر بيانا بذلك ، جاء فيه «أن الولايات المتحدة الأمريكية تؤيد إقامة وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين وفقا للشروط التي يتضمنها وعد الحكومة البريطانية الصادر في الثاني من نوفمبر - تشرين الثاني - من العام ١٩١٧ ، والمعروف بوعد بلفور» .

وفى نهاية الشهر نفسه، وافق مجلس النواب الأمريكى على وعد بلفور فى بيان جاء فيه: «حيث إن الشعب اليهودى كان يعتقد لقرون طويلة ويتشوق لإعادة بناء وطنه القديم، وبسبب ما تمخضت عنه الحرب العالمية ودور اليهود فيها، فيجب أن يمكن الشعب اليهودى من إعادة إنشاء وتنظيم وطن قومى فى أرض آبائه مما يتيح لبني إسرائيل فرصته التى حرم منها لفترة طويلة، وهى إعادة تأسيس حياة يهودية وثقافة مثمرة فى الأرض اليهودية القديمة» (٣٢).

وفي ٢١ / ٩ / ١٩٢٢ ، وافق المجلسان معا على وعد بلفور كخطوة تأكيدية للموافقة المنفردة لكل منهما ، ومنذ ذلك التاريخ ، أصبحت الولايات المتحدة شريكة بريطانيا في تنفيذ الوعد الذي أصبح وعدًا بريطانيًا أمريكيًا مشتركًا .
لم يقتصر نشاط الصهيونية المسيحية الأمريكية على مجرد تأييد وعد بلفور ، بل تجاوزه إلى :

١- حث اليهود على التجاوب مع نداء العودة ، حتى إن بلاكستون (الذي يصفه اليهود بأنه أب الصهيونية الأمريكية) بعث إلى هرتزل نسخة من العهد القديم **Old Testament** يشير فيها إلى مقاطع خاصة تتحدث عن استعادة اليهود أرض فلسطين لحثه على دعوة اليهود إلى العودة . ولاتزال هذه النسخة من العهد القديم محفوظة في قبر هرتزل في القدس حتى اليوم .

٢- حث السلطان العثماني على قبول توطين اليهود في فلسطين . وقد مارس هذا الدور بشكل أساسي سفير الولايات المتحدة في الآستانة ليو والاس **lew wallace** ومارسه أيضا قنصل الولايات المتحدة في القدس إدوين والاس **Edwine wallace** صاحب كتاب «القدس المقدسة **Jerusalem The Hoy**» وفيه يعترف بأنه إذا كان توطين اليهود غير مقبول الآن ، فإنه سيكون مقبولا فيما بعد . وهو الأسلوب الذي لا يزال معتمدا حتى الآن في سياسة التوطين والتوسع اليهودية .

٣- تكوين المنظمات والهيئات الشعبية والدينية لتوفير الدعم المعنوي والمادي من أجل تحقيق النبوءات التوراتية بإعادة اليهود إلى فلسطين . من أوائل هذه المنظمات «الفيدرالية الأمريكية المؤيدة لفلسطين **Pro - Palestine Federation of America**» التي أسسها في العام ١٩٣٠ القس تشارلز راسل **Ch. E. Rusell** ومنظمة «اللجنة الفلسطينية الأمريكية **American**»

Palestine Committee التي أسسها في العام ١٩٣٢ السيناتور روبرت واجنر R. Wagner وضمت ٦٨ عضوا من مجلس الشيوخ و ٢٠٠ عضو من مجلس النواب وعددا من رجال الدين الإنجليين ورجال أعمال وأساتذة جامعات، وصحافيين وأدباء مشهورين. كما تأسست في العام ١٩٤٢ منظمة «المجلس المسيحي لفلسطين Christian Council of palestine» على قاعدة وعد بلفور وتحقيقا له، من القساوسة البروتستانت ومن شخصيات مالية وسياسية وحكومية بارزة. هذه المنظمات رفعت شعار الأرض الموعودة، وشعار الشعب المختار، وربطت بين الشعارين، وعلمت الناس أن أفضل عمل يقوم به المسيحي تقربا وزلفى إلى الله، هو المساهمة المادية والمعنوية في تحقيق إرادة الله بإعادة اليهود إلى فلسطين تمهيدا لعودة المسيح.

والكونجرس الأمريكي -تبنا منه لقرار المؤتمر الصهيوني اليهودي الذي عقد في نيويورك في العام ١٩٤٢- اتخذ في العام ١٩٤٤ قرارا «تتعهد الولايات المتحدة بموجبه بذل قصارى جهدها من أجل فتح أبواب فلسطين أمام اليهود للدخول إليها بحرية ولإتاحة الفرصة أمامهم لاستعمارها حتى يتمكن الشعب اليهودي من إعادة تكوين فلسطين يهودية ديمقراطية حرة».

لقد استعمل الكونجرس الأمريكي عبارة إعادة تكوين فلسطين بدلا من العبارة التي استعملها المؤتمر الصهيوني اليهودي في بيان مؤتمر نيويورك وهي تكوين دولة يهودية في فلسطين. فكانت الصهيونية المسيحية أشد مغالاة وأكثر تطرفا من الصهيونية اليهودية !!

في الأساس أرسى الرئيس الأمريكي وودرو ولسون قاعدة الالتزام الأمريكي بالوطن القومي اليهودي من خلال التزامه بوعد بلفور. وأصبح هذا الالتزام من ثوابت كل الرؤساء الذين جاءوا

بعده وخاصة روزفلت وترومان.

لعل أهم ما قام به الرئيس روزفلت هو ممارسة الضغط على بريطانيا لحملها على التراجع عن الكتاب الأبيض للعام ١٩٣٩، الذى نص على تحديد الهجرة اليهودية إلى فلسطين. ذلك أن الصهيونية المسيحية التى كان يشارك روزفلت الإيمان بها كانت ترى فى هذا التحديد عرقلة لإرادة الله وتعطيلاً للنبوءات المقدسة. فى تلك الفترة بدأ الثقل السياسى ينتقل من بريطانيا إلى الولايات المتحدة^(٣٣) ولما توفى روزفلت فى ١٢ / ٤ / ١٩٤٥ تولى الرئاسة هارى ترومان الذى يعتبر الرئيس الأكثر تجسيدا للصهيونية الأمريكية فى العصر الحديث. لقد حث ترومان رئيس وزراء بريطانيا أتلى فى ٣١ / ٨ / ١٩٤٧ على السماح لمائة ألف يهودى بالهجرة إلى فلسطين وذلك لتأمين أغلبية يهودية فى فلسطين فى ظل الانتداب البريطانى تمهيداً لتحويل فلسطين إلى دولة يهودية بعد إنهاء فترة الانتداب.

وكان ترومان فظاً للغاية فى رسالته التى وجهها إلى الملك عبدالعزيز آل سعود فى ٢٨ / ١٠ / ١٩٤٨ والتى اعتبر فيها أنه من الطبيعى أن تشجع الإدارة الأمريكية هجرة اليهود من أوروبا إلى فلسطين.. لإقامة الوطن القومى اليهودي.

٣٣- يمكن اعتبار انتقال وايزمان من بريطانيا إلى الولايات المتحدة حيث اجتمع مع الرئيس الأمريكى ترومان إشارة أولية إلى هذا الانتقال. غير أن ديزموند ستيوارت يقوله (فى كتابه «تاريخ الشرق الأوسط الحديث - «معبد جانوس» ترجمة زهدى جبار الله - دار النهار للنشر - الصفحة ٢٩٣): إن بن جوريون شعر خلال الحرب العالمية الثانية أن مصدر القوة سيكون أمريكا، لأن الحرب ستترك بريطانيا منهوكة مهما كانت نتائجها. لذلك أمضى فى الولايات المتحدة خلال الحرب فترة طويلة وهو يحاول الحصول على تأييد الحكومة الأمريكية لتكوين جيش يهودى فى فلسطين ولأغراض الصهيونية العامة فيها، ويعمل أيضاً بين الهيئات اليهودية المختلفة ليعدها لطلب الدولة اليهودية بعد الحرب».

وبرغم أن الملك عبد العزيز رفض رسالة الرئيس الأمريكي وعارضها بشدة، فإنها تعتبر أول إقرار رسمي أمريكي بالالتزام بالوطن القومي اليهودي وبتهجير اليهود إلى فلسطين.

هكذا اعترف ترومان فعليا بإسرائيل في ١٤ / ٥ / ١٩٤٨، وحتى قبل أن تطلب منه حكومة إسرائيل المؤقتة ذلك بشكل رسمي. كان لتربيته الدينية الأثر الأساسي في هذا التوجه. وكان ترومان مثل إبراهيم لنكولن قد درس التوراة على نفسه، وكان يؤمن بالتبرير التاريخي لوطن قومي يهودي، وبأن وعد بلفور يحقق الآمال القديمة للشعب اليهودي.

كان ترومان كمعمداني يحس بشيء عميق له مغزاه في فكرة البعث اليهودي، وكان معروفا عنه حبه للفقرة التوراتية الواردة في المزمارة ١٣٧ والتي تبدأ «لقد جلسنا على أنهار بابل، وأخذنا نبكي حين تذكرنا صهيون». ولقد اعترف ترومان أنه ما من مرة قرأ فيها قصة إنزال الوصايا العشر في سيناء إلا وشعر بوخز خفيف يسرى في عروقه، وقد صرح بأن «موسى تلقى المبدأ الأساسي لقانون هذه الأمة على جبل سيناء»^(٣٤).

لم يكد يصدر الإعلان الرسمي بقيام إسرائيل في العام ١٩٤٨ حتى بادرت الولايات المتحدة إلى تقديم منحة لها قدرها مائة مليون دولار مخصصة لمشاريع التنمية، بالإضافة إلى قرض - تحول إلى منحة - بقيمة ٣٥ مليون دولار.

مع الوقت كانت المساعدات الأمريكية لإسرائيل تتضاعف حتى إن معدل هذه المساعدة بالنسبة للفرد الواحد، بلغ في العام ١٩٥٢، ٤٨ دولارًا للإسرائيلي، مقابل سبعة دولارات وعشرين سنًا للأوروبي ودولارا واحداً وثلاثة سنتات للعربي.

جنبًا إلى جنب ، مع المساعدة المالية والعسكرية لإسرائيل ، فرض حظر أمريكي على بيع الأسلحة للعرب ، وجرت محاولات لإخضاع الدول العربية بضمها إلى الأحلاف العسكرية والسياسية التابعة للولايات المتحدة . كما جرت محاولات للضغط على الدول العربية من أجل رفع المقاطعة عن إسرائيل وللتفاوض معها والاعتراف بها والتعايش معها وفق الشروط الإسرائيلية للتسوية . وكما أن إقامة إسرائيل كان يعتبر عملاً دينياً بموجب تعاليم الكنيسة الصهيونية المسيحية ، كذلك فإن المحافظة على إسرائيل ومساعدتها ودعمها والدفاع عنها ، يؤلف عملاً دينياً أيضاً بموجب تعاليم هذه الكنيسة .

يوجد في الولايات المتحدة (٣٥) ٠٠٩ ، ٧٥٤ ، ٧٦ مليون بروتستانت ينتمون إلى ٢٠٠ طائفة ، أكثر هذه الطوائف مغالاة في تبني العقيدة الصهيونية هي الطائفة التبديرية Indispensationalism التي يبلغ عدد أتباع كنائسها المختلفة ٤٠ مليوناً تقريباً ، وتعرف مجموعة هذه الكنائس باسم كنائس الأنكلوساكسون البروتستانت البيض White Anglo - Saxon Protestant (W. A. S. P) وهي تضم الشخصيات الأبرز في المجتمع الأمريكي سياسياً واقتصادياً وتربوياً وإعلامياً وعسكرياً أما أبرز أعلام هذه الطائفة من القساوسة الإعلاميين التلفزيونيين فهم :

١- بات روبرتسون Pat Robertson : الذي يستضيف برنامجاً لمدة تسعين دقيقة يومياً يدعى نادى السبعمائة ٧٠٠ Club « سمي كذلك نسبة إلى ٧٠٠ مساهم معه » هذا البرنامج

٣٥- حسب إحصاءات ١٩٨٢ التي نشرت في :

Year Book of american and canadian Churches (Nashville: Adington Press 1984. P. 244

يصل إلى أكثر من ١٦ مليون عائلة، أي إلى أكثر من ١٩ بالمائة من الأمريكيين الذين يملكون أجهزة تلفزيون.

إن روبرتسون ابن السيناتور السابق عن ولاية فرجينيا ويليس روبرتسون Willis Robertson متخرج في مدرسة الحقوق في جامعة بال، وهو يوظف نحو ١٣٠٠ شخص لإدارة شبكته التلفزيونية المسيحية سي. بي. إن. Christian Broadcasting Net work (C. B. N) وتقوم الإدارة المركزية للشبكة على مساحة ٦٧٩ أكر في ضاحية شاطئ فرجينيا بقيمة ٢٢ مليون دولار، وتضم سي. بي. إن. نادي السبعمئة، ثلاث محطات تلفزيونية، محطة راديو، محطة تلفزيون سي. بي. إن. بالاشتراك مع محطة تلفزيون في جنوب لبنان، مراسلين في أكثر من ٦٠ دولة، جامعة، نظامًا للمساعدة الدولية ومجموعة ضغط «لوبي».

في مطلع عام ١٩٨٦، بدأت سي. بي. إن. C.B.N برنامجًا إخباريًا لمدة نصف ساعة يوميًا «سي. بي. إن. أخبار الليل» وهي تقدم أخبارًا من وجهة نظر مسيحية صهيونية إلى ٣، ٢٧ مليون مشاهد تلفزيوني يشتركون في محطة البث، ويتألف جهاز المحطة من مائة فني يعملون خارج الاستديوهات في واشنطن وفي الإدارة المركزية في فرجينيا بيتش، التي تدير مكاتب في القدس وببيروت، وفي عام ١٩٨٦ خطط لافتتاح مكاتب في لندن ونيويورك ولوس أنجلوس.

إن عمليات روبرتسون تحقق عائدات سنوية تزيد على ٢٠٠ مليون دولار، وفي مطلع عام ١٩٨٦ وصل نفوذ روبرتسون وقوته إلى حد أنه بدأ يفكر في الوصول إلى المكتب البيضاوي في البيت الأبيض بات روبرتسون، رئيسًا للولايات المتحدة؟ تساءلت صحيفة نيويورك تايمز في تعليق للكاتب توم فيكر TOM Wicker في أكتوبر ١٩٨٥ وقالت: «لا تسخر، أن

ترشيح روبرتسون في عام ١٩٨٨ هو أكثر الاحتمالات مخادعة» وكتب فيكر: إن هناك ٢٤ مليون مشاهد للمحطة التليفزيونية المسيحية، وأضاف: إن احتمال ترشيح روبرتسون يقوم على لوائح كبيرة من المساهمين، والممولين، وكذلك على إقبال من المشاهدين يفوق عددهم قراء صحف التايم ونيوزويك، ونيويورك تايمز، ولوس أنجيلوس تايمز والواشنطن بوست مجتمعة.

٢- جيمى سواجرت Jimmy swaggart: الذى يدير عمليات من باتون روج فى لويزيانا Baton Rouge, Louisiana، وهى ثانى أكثر محطات التليفزيون الإنجيلية الصهيونية شهرة: استناداً إلى استقصاء مؤسسات «نلسون».

إنه يصل إلى ٥، ٤ مليون منزل يومياً (أو ٤، ٥٪ بالمائة من المشاهدين) وإلى ما مجموعه ٩ ملايين وربع المليون أسرة (أو ١٠٪ من المشاهدين) أيام الأحد.

٣- جيم بيكر Jim Bakker: الذى يملك ثالث أشهر محطة تليفزيونية تبشيرية. بدأ عمله الدينى متعلماً على «بات روبرتسون» إنه يصل إلى نحو ٦ ملايين منزل «٨، ٦٪ بالمائة من المشاهدين».

وبالإضافة إلى منزل فى مدينة شارلوت شمال كارولينا يملك «بيكر» وزوجته تامى منزلاً جبلياً فى بالم ديزرت Paim Desert «صحراء النخيل» بكاليفورنيا قيمته ٤٤٩ ألف دولار، بالإضافة إلى سيارتى رولس رويس ومارسيدس وكجميع «التدبيريين» فهو يعتقد أنه علينا أن نخوض حرباً رهيبة من أجل فتح الطريق أمام المجيء الثانى للمسيح، إن محطته هى المحطة التاسعة عشرة من حيث الحجم فى أمريكا وتحقق أرباحاً سنوية تقدر بما بين ٥٠ إلى مائة مليون دولار.

٤- أورال روبرتس Oral Roberts: الذى تصل برامجه

التليفزيونية اليوم إلى ٥،٧٧ مليون منزل، أو ٦،٨٪ من المشاهدين وقد ولد في بيت متواضع في أو كلاهوما في عام ١٩١٨ من أب فلاح تحول إلى مبشر، يقول أورال روبرتس: إن الله طلب منه أن ينشئ هذه الجامعة ويقول: إن الله أخبره في عام ١٩٦٨ أن يترك الكنيسة المقدسة في بنتو كوستال Pentocostal وأن يصبح قسيسًا في كنيسة «ميثوديست» وفي عام ١٩٧٧ عندما فقد ابنته وزوجها في حادث تحطم طائرة، قال روبرتس: إن الله أوحى إليه ببناء مستشفى مدينة الإيمان City of Faith Hospital إنه واحد من اثنين من الأمريكيين الذين بنوا منفردين جامعة ومدرسة طبية ومستشفى «الشخص الآخر كان جونز هوبكنز».

٥- جيرى فولويل Jerry Falwell: الذي تصل دروسه التبشيرية الأسبوعية إلى ٥،٦ مليون منزل، أي ٦،٦٪ من جميع المشاهدين، كان فولويل مثل روبرتسون في عام ١٩٨٥ منغمسًا بعمق في الشؤون السياسية وفي شهر أغسطس، وبعد أن أمضى خمسة أيام في جنوب إفريقيا، أيد الحكومة العنصرية ووصف الأسقف ديزموند توتو Desmond Tutu الحائز على جائزة نوبل للسلام بأنه ألعوبة. إن ملاحظة فولويل حول توتو سببت له تراجعًا قدره مليون دولار أقل في حجم العطاءات التي كانت متوقعة في عام ١٩٨٥ وفي نوفمبر، من نفس العام، سافر فولويل إلى مانيلا حيث أيد دكتاتورية ماركوس Marcos ووصف الفلبين الممزقة بالجنة، وفي الثالث من يناير العام ١٩٨٦، أعلن فولويل عن تكوين منظمة جديدة تدعى «فيدرالية الحرية» Liberty Federation ولكي تكون بمثابة الأم للمجموعة المعنوية Moral Majority التي يقودها فقد غير الاسم «استنادًا إلى فولويل» ليتمكن أتباعه من توسيع مجالات العمل وتسريع النمو.

كذلك في ٢٥ من يناير - كانون الثاني - ١٩٨٦ أقام فولويل

حفل غداء في مدينة واشنطن على شرف نائب الرئيس جورج بوش وقد أخبر فولويل ضيوفه الخمسين ، الذين حضروا مجاناً حفل الغداء السخي : بوش سيكون أفضل رئيس في عام ١٩٨٨ . وقبل أسبوع ، من هذا الغداء ، أعلن فولويل عن شراء شبكة تليفزيون بالكابلات وهي الشركة المسيحية الوطنية التي كانت تواجه متاعب مالية : وغير فولويل اسمها إلى محطة الحرية للبث Liberty Broadcasting Net Work إن شبكة المحطة الجديدة التي تعمل من ليتشبورج في فرجينيا سوف تعرض برامج دينية مدة ٢٤ ساعة في اليوم بما فيها برنامج يدور حول فولويل نفسه . ٦- كينيث كوبلاند Copeland Kenneth : الذي يصل إلى ٩ ، ٤ مليون منزل ، أي ٨ ، ٥ ٪ من المشاهدين في الأسبوع .

إنه متخرج في جامعة أورال روبرتس Roberts University Oral ومؤمن بالتدبيرية ، ويرى أن إسرائيل الحديثة وصهيون الإنجيلية هما شيء واحد ويقول : « إن الله أقام إسرائيل ، إننا نشاهد الله يتحرك من أجل إسرائيل .. إنه لوقت رائع أن نبدأ بدعم حكومتنا ما دامت تدعم إسرائيل .. إنه لوقت رائع أن نشعر مدى تقديرنا إلى جذور إبراهيم » .

وبالرغم من ذلك فإن كوبلاند لا يحب بالضرورة إسرائيل كما هي ، إنما يعبر عن حبه لإسرائيل لأنه وأتباعه يرون أنها المسرح الذي سيقدم عليه مشهد معركة هرمجدون Armageddon وعودة المسيح .

إنهم يعبرون عن حبهم لليهود ليس لأنهم يهود ولكن لأنهم يرون فيهم الممثلين الذين لا بد منهم على مسرح النظام الديني الذي يقوم على أساس تحقيق المسيحية الكاملة .

٧- ريتشارد دي هان Richard De Haan : الذي يصل في

برنامج « يوم كشف النظام » Day of Discovery إلى ٧٥ ، ٤

مليون منزل ، أى ٤٨ ٪ من المشاهدين .

إنه ابن «القس دى هان» من متشيعن الذى طور الكنيسة
التدبيرية ربما أكثر من أى قس أمريكى آخر .

٨- ريكس همبرد Rex Humb الذى يصل إلى ٣،٧ مليون
منزل ، أى نحو ٤،٤ بالمائة من مجموعة المشاهدين ، إنه يبشر
بتعاليم سكوفيلد حول التدبيرية ، وهى تقول : «إن الله كان يعرف
منذ البداية الأولى أننا نحن الذين نعيش اليوم ، سوف ندمر الكرة
الأرضية» .

لقد ذكرت سبعة من الذين يقدمون البرامج الدينية ويبشرون
بنظرية هرمجدون فى الإذاعة والتليفزيون ، ومن بين ٤ آلاف
أصولى إنجيلى ، يشتركون سنوياً ، فى مؤتمرات الإذاعات الدينية
الوطنية ، هناك ثلاثة آلاف يعتقدون أن كارثة نووية فقط يمكن
تعيد المسيح إلى الأرض ، إن هذه الرسالة تبث عبر ١٤٠٠ محطة
دينية فى أمريكا ، ومن بين ٨٠ ألف قسيس إنجيلى يذيعون يومياً
من خلال ٤٠٠ محطة إذاعة فإن الأكثرية الساحقة منهم من
التدبيريين» (٣٦) .

اتخذت هذه الكنائس من الأجهزة الإعلامية العامة - بكل ما
تتمتع به هذه الأجهزة من تقنية وسعة انتشار - منابر لها للوعظ
الدينى وللإرشاد السياسى وبلغ تأثيرها على صناعة القرار
السياسى الأمريكى تجاه القضية الفلسطينية الصراع العربى
- الصهيونى حد المشاركة فى صنع القرار ، وتوجيه السياسة
الأمريكية وفق النبوءات الدينية التى تقول بعودة اليهود إلى
فلسطين ، وقيام صهيون ، ومن ثم ظهور المسيح .

تعتقد الصهيونية المسيحية أن ثلاث إشارات يجب أن تسبق

٣٦- المعلومات عن هذه الشخصيات ملخصة فى كتاب: النبوءة والسياسة - غريس

هالسل - ترجمة محمد السماك ص ٢٩ - ٣٣ .

عودة المسيح :

الأنبياء

الإشارة الأولى هي قيام إسرائيل: وقد قامت إسرائيل

في العام ١٩٤٨م، ولذلك اعتبر الصهيونيون المسيحيون في الولايات المتحدة هذا الحدث أعظم حدث في التاريخ لأنه جاء مصداقاً للنبوءة الدينية.

الإشارة الثانية هي احتلال مدينة القدس: ولقد

احتلت إسرائيل القدس في العام ١٩٦٧ التي ينظر الإنجيليون من الصهيونيين المسيحيين على أنها المدينة التي سيمارس المسيح حكم العالم منها بعد قدومه الثاني المنتظر ولذلك تضغط الكنائس الصهيونية المسيحية في الولايات المتحدة من أجل الاعتراف بالقدس عاصمة موحدة وأبدية لإسرائيل وقد تجاوب مجلسا الشيوخ والنواب مع هذه الضغوط في إبريل - نيسان ١٩٩٠.

الإشارة الثالثة هي إعادة بناء هيكل سليمان على

انقاض المسجد الأقصى: لقد وضعت خريطة الهيكل الجديد، فيما تتواصل الحفريات تحت المسجد بحجة البحث عن آثار يهودية مطمورة وفي الوقت نفسه يتم إعداد وتدريب كهان الهيكل في معهد خاص بالقدس. أما الأموال اللازمة فقد جمع معظمها وأودع في حساب خاص باسم مشروع بناء الهيكل. بعد اكتمال المشروع، ستقع هرمجدون^(٣٧) التي يظهر

٣٧- هرمجدون معركة نووية يعتقد الإنجيليون المتهودون أنها ستقع في سهل مجدون القدس وعكا، وأن التنبؤ بها ورد في أسفار حزقيال ويوحنا ويوشع، وهي تقول وأن قوات الكفار من المسلمين والملحدين سوف تدمر فيها إلى أن يظهر المسيح فوق أرض المعركة ويرفع بالجسد المؤمنين به ويخلصهم من الدمار ومن ثم يحكم العالم مدة ألف عام حتى تقوم الساعة.

المسيح فوقها مباشرة وسيرفع إليه بالجسد المؤمنين به ليحكم العالم من القدس مدة ألف عام تقوم بعدها القيامة .

ففى شهر مارس - آذار من العام ١٩٧٩ ، تحدث الرئيس الأمريكى جيمى كارتر أمام الكنيست الإسرائيلى « وكان يعمل على إقرار معاهدة الصلح بين مصر وإسرائيل » فقال : « جسد من سبق من الرؤساء الأمريكيين الإيمان بأن جعلوا علاقات الولايات المتحدة مع إسرائيل هى أكثر من علاقات خاصة ، إنها علاقات فريدة لأنها متأصلة فى ضمير وفى أخلاق وفى دين وفى معتقدات الشعب الأمريكى نفسه لقد أقام كلاً من إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية ، مهاجرون رواد ، ثم إننا نتقاسم معكم تراث التوراة » (٣٨) .

يمثل الرئيس الأمريكى السابق رونالد ريجان محطة بارزة فى هذا الطريق من المفيد الوقوف عندها بتفحص دقيق عندما كان ريجان حاكماً لولاية كاليفورنيا كان من أتباع ومن دعاة الصهيونية المسيحية وبقي على إيمانه هذا بعد انتخابه رئيساً للولايات المتحدة فى العام ١٩٨٠ ، وبعد التجديد له ولاية ثانية فى العام ١٩٨٤ وكان إيمانه يحمله على التمسك بأيديولوجية معركة هرمجدون .

يروى جيمس ميلز James Miles الرئيس السابق لمجلس الشيوخ فى ولاية كاليفورنيا فى عدد شهر آب - أغسطس ١٩٨٥ من مجلة سان دياغو San Diego Magazine ، الحادثة التالية : كانت تلك السنة الأولى فى الولاية الثانية من حاكمية ريجان وكانت السنة الأولى التى ينتخب فيها ميلز رئيساً لمجلس شيوخ

الولاية كان الاثنان يجلسان جنباً إلى جنب في مأدبة أقيمت في سكرامنتو في شرف ميلز في أثناء الاحتفال سأل ريجان ميلز بصورة غير متوقعة تمامًا إذا كان قرأ الفصلين ٣٨ و ٣٩ من حزقيال Ezekiel أكد ميلز للحاكم أنه ترعرع في بيت مؤمن بالكتاب المقدس، وأنه قرأ وناقش المقاطع من حزقيال التي تتحدث عن ياجوج وماجوج Cog and Magog «التي يقول المؤمنون بالتدبيرية إن ذلك يعنى روسيا» عدة مرات، كما قرأ مراجع أخرى عن نهاية الزمن في الفصلين ١٦ و ١٩ من سفر الرؤية Book of Revelation.

قال ريجان: إن حزقيال رأى في العهد القديم المذبحة التي ستدمر عصرنا ثم تحدث ريجان بتركيز لاهب عن ليبيا لتحويلها إلى شيوعية، وأصر على أن في ذلك إشارة إلى أن يوم هرمجدون لم يعد بعيداً.

عند ذلك بادر ميلز إلى تذكير ريجان بأن حزقيال يقول أيضاً: إن أثيوبيا ستكون من بين قوى الشيطان وأضاف ميلز: إننى لا أستطيع أن أرى «هياسيلاسى أسد يهوذا» يخوض مع زمرة من الدمى حرباً ضد شعب الله المختار.

قال ميلز: إنه لا يعتقد أن ذلك ممكن، غير أن ريجان أصر بقوله: أنا أعتقد ذلك، وأظن أنه لا مفر منه، إنه ضرورى لتحقيق النبوءة بأن أثيوبيا ستكون واحدة من الأمم المعادية لله التي تحارب إسرائيل. «بعد ثلاث سنوات من هذا الحديث أشار ميلز في مقالته إلى أن الشيوعيين أسقطوا هياسيلاسى وأن ريجان كان سعيداً بأن يرى ما يبدو أنه تحقيق لنبوءة تتعلق بالمسيح».

فى العشاء الذى أقيم فى العام ١٩٧١ تحدث ريجان عن هرمجدون نووية قادمة وقال ميلز: إن حديث ريجان بدا كحديث مشير إلى طالب كلية قال ريجان لميلز: إن جميع النبوءات التي

يجب أن تتحقق قبل هرمجدون قد مرت ، ففي الفصل ٣٨ من حزقيال أن الله سيأخذ أولاد إسرائيل من بين الوثنيين حيث سيكونون مشنتين ويعودون جميعهم مرة ثانية إلى الأرض الموعودة ، لقد تحقق ذلك أخيراً بعد ألفى سنة ، ولأول مرة يبدو كل شيء في مكانه بانتظار معركة هرمجدون والعودة الثانية للمسيح ، وعندما ذكر ميلز ريجان أن الشيء الوحيد الذي ينص عليه الكتاب المقدس بوضوح هو أن العودة الثانية للمسيح لا يعرف أحد متى ستحدث ، رد ريجان بصوت عال : « إن كل شيء يأخذ مكانه لن يطول الوقت الآن ، إن حزقيال يقول : إن النار والحجارة المشتعلة سوف تمطر على أعداء شعب الله إن ذلك يجب أن يعنى أنهم سوف يدمرون بالسلح النوى إنهم موجودون الآن ولكنهم لم يكونوا موجودين في الماضي » .

وتابع ريجان يقول : « إن حزقيال يخبرنا أن يأجوج ومأجوج الأمة التي ستقود قوى الظلام الأخرى ضد إسرائيل سوف تأتي من الشمال ، إن أساتذة الكتاب المقدس يقولون منذ أجيال : إن يأجوج ومأجوج يجب أن تكون روسية » .

ما الأمم القديمة الأخرى الموجودة إلى الشمال من إسرائيل ؟ لا شيء ، لقد كان ذلك غير منطقي قبل الثورة الروسية عندما كانت روسيا دولة مسيحية إلا أن لذلك معنى الآن وقد أصبحت روسيا شيوعية وملحدة ، الآن وقد وضعت روسيا نفسها ضد الله ، الآن تنطبق مواصفات يأجوج عليها تماماً .

ولكن ماذا بعد الوفاق الأمريكي - السوفييتي في ضوء البيروسترويك والجلاسنوت ؟

في عام ١٩٧٦ ناقش ريجان معركة هرمجدون في مقابلة مسجلة مع جورج أوتيس الذي سبق له وأن تنبأ بوصول ريجان إلى الرئاسة الأمريكية .

يقول أوتيس فى كتابه «شبح هاجر» The Ghost of Hagar : إنه ينتظر تحقيق نبوءة حرب يأجوج ومأجوج «التي تفسر بأنها غزو سوفييتى لإسرائيل فى المستقبل القريب»، وقد سأل ريجان إذا كان يعتقد أنه سوف ينقذ من هذه المجزرة الرهيبة خلال الحرب النهائية، علمًا بأن الخلاص من هذه المرحلة استنادًا إلى المؤمنين بالتدبيرية لا يكون إلا إذا كان المسيحى «مولودًا مرة ثانية»، وقد أجاب ريجان : إنه مولود مرة ثانية ويشعر بذلك ويؤمن به .

تحدث الحاكم ريجان أيضًا عن هرمجدون إلى الإنجيلى هارولد برتسون Herald Bredezen من كاليفورنيا، وفى إحدى المناسبات زار ريجان كلا من برتسون والمغنى بات بون وجورج أوتيس فى منزله، ولقد سر برتسون ودهش فى الوقت نفسه لمبادرة ريجان إثارة موضوع النبوءات الإنجيلية أمام زواره ونقل برتسون عنه قوله : «إذا كان اليهودى غير مخلص لله فهل أن الله سيشتمه فى أطراف الأرض؟ وحتى بعد أن يحدث ذلك هل سيغسل الله يديه منهم؟ إن النبى يفسر لنا أنه قبل عودة ابنه، فإن الله سوف يعيد جمعهم فى إسرائيل ويفسر لنا حتى طريقة نقلهم التى سيستعملونها لقد قال النبى : إن بعضهم سوف يأتى بالباخرة وأن بعضهم سوف يعود كالحمام إلى أعشاشه وبكلمات أخرى سيأتون بالباخرة أو بالطائرة وستولد الأمة فى أحد الأيام». وأشار ريجان بالتأكيد إلى حقيقة الوعد بأن القدس سوف تدنس تحت أقدام العامة «جنتيل» إلى أن ينتهى وقت هذه العامة وأن هذه النبوءة تحققت فى عام ١٩٦٧ عندما أعيد توحيد القدس تحت العلم الإسرائيلى .

ويقول برتسون : إن ما أثارنى بصورة خاصة هو أن ريجان قد نما روحياً بشكل كبير والمثال على إدراكه الشامل لما يجرى فى

ضوء مسلسل النبوءات قدرته على تحديد اليوم منذ عام ١٩٤٨ الذى أعيد فيه بناء إسرائيل كأمة .

لقد تملكنى الشعور بأن ريجان يدرك تمامًا أهداف الله فى الشرق الأوسط ومن أجل ذلك السبب فإنه يشعر بأن المرحلة التى نمر بها الآن هى مرحلة بارزة ما دامت أن الأحداث الواردة فى الكتاب المقدس تتحقق فى هذا الوقت .

عندما كان ريجان مرشحًا للرئاسة فى عام ١٩٨٠ كان يواصل الحديث عن هرمجدون ، وقد قال ريجان « وهو مرشح للرئاسة » للإنجيلى جيم بيكر فى مقابلة تليفزيونية أجراها معه : « إننا قد نكون الجيل الذى سيشهد هرمجدون » .

ويقول المؤلف الإنجيلى دوج ويد Doug wead الذى كان حاضرًا بالمقابلة : إنه سمع ريجان يردد مرارًا : « إن نهاية العام قد تكون فى متناول يدنا » وفى حفل عشاء فى منزل ريجان فى كاليفورنيا حضره ويد ، تحول الحديث إلى الاتحاد السوفيتى وإلى النبوءة الإنجيلية وفى وسط النقاش أعلن ريجان « استنادًا إلى ما يقوله ويد » أمام ضيوفه : إننا ربما نكون الجيل الذى يحقق هرمجدون . وفى نفس العام ١٩٨٠ أعطى ريجان مرشح الرئاسة مثلاً آخر ما نقله معلق صحيفة نيويورك تايمز وليم سافير William Safire : كان ريجان يخطب فى مجموعة من القادة اليهود عندما قال : « إسرائيل هى الديمقراطية الثابتة الوحيدة التى يمكن أن نعتمد عليها كموقع لحدوث هرمجدون » .

وفى مقابلة صحفية أجراها الصحافى روبرت شير Robert Scheer فى مارس-آذار ١٩٨١ مع جيرى فولويل ، كشف فولويل عن أن الرئيس ريجان قال له مرة : إن تدمير العالم قد يحدث « سريعًا جدًا » وإن التاريخ سيصل إلى ذروته وأبلغ فولويل الصحافى أيضًا أنه لا يعتقد أنه بقيت أمامنا خمسون سنة أخرى وسأل الصحافى

ما إذا كان ريجان يوافق على ذلك أيضًا، فأجاب: بالتأكيد، لقد أخبرني ريجان بذلك، ونقل فولويل عن ريجان قوله له: «جيري، إنني أحيانًا أؤمن بأننا نتوجه بسرعة كبيرة الآن نحو هرمجدون» وبعد ذلك بعامين، رتب ريجان لفولويل حضور اجتماع مجلس الأمن القومي ليستمع إلى الملخصات التي تقدم، وليناقش كبار المسؤولين الأمريكيين في احتمال وقوع حرب نووية مع روسيا كذلك، واستنادًا إلى هول لندسي، وافق ريجان أيضًا على أن يلقي مؤلف كتاب «آخر أعظم كرة أرضية» *The Last Great Planet Earth* كلمة حول الحرب النووية مع روسيا أمام استراتيجي البنتاجون.

في أحد أيام أكتوبر - تشرين أول - من عام ١٩٨٣ كشف ريجان أن هرمجدون لا تزال تشغل باله فقد اتصل هاتفياً بتوم داين Tom Dine من لجنة العلاقات العامة الأمريكية - الإسرائيلية، وهي أكثر منابر اللوبي المؤيد لإسرائيل قوة واستنادًا إلى داين، قال الرئيس ريجان:

«كما تعرف فإنني أستند إلى أنبيائك القدامى في العهد القديم وإلى المؤشرات التي تخبر مسبقًا بهرمجدون، وإنني أتساءل إذا كنا نحن الجيل الذي سيشهد ذلك لا أعرف إذا كنت قد لاحظت مؤخرًا أيًا من هذه النبوءات، ولكن صدقني إنها تصف الوقت الذي نمر به».

خاطب ريجان الاتحاد الوطني للمذيعين الدينيين ثلاث مرات في أعوام ١٩٨٢، ١٩٨٣، ١٩٨٤ ويتألف هذا الاتحاد في معظمه من المؤمنين «بالتدبيرية»، وقال: «إن الحرب النووية مقبلة علينا وإن ذلك سيحدث بأسرع مما نتصور».

وفي عام ١٩٨٣، كشف ريجان عن أهمية الكتاب المقدس في حياته قائلاً للمذيعين الدينيين: «بين دفتي هذا الكتاب الوحيد

توجد جميع الإجابات على جميع المشاكل التي تواجهها اليوم». وكتب ميلز في تلك المقالة التي نشرتها مجلة سان دييجو san Diego أن ريجان كرئيس للولايات المتحدة أظهر بصورة دائمة التزامه القيام بواجباته تماشيًا مع إرادة الله، وذلك كأى مؤمن آخر يحتل منصبًا عاليًا وقال ميلز فى المقال: إن ريجان كان يشعر بهذا الالتزام بصورة أخص وهو يعمل على بناء القدرة العسكرية للولايات المتحدة ولحلفائها وقال: «صحيح أن حزقيال تنبأ بانتظار جيوش إسرائيل وحلفائها فى المعركة الرهيبة ضد قوى الظلام، ومع ذلك فإن المسيحيين المحافظين مثل رئيسنا لا يسمح لهم التطرف الروحى بأن يأخذوا هذا الانتصار كمسلمات إن تقوية قوى الحق لتربح هذا الصراع المهم هو فى عيون هؤلاء الرجال عمل يحقق نبوءة الله انسجامًا مع إرادته السامية وذلك حتى يعود المسيح مرة ثانية ليحكم الأرض ألف سنة» (٣٩).

الصهيونية المسيحية

يوأية أمريكا إلى الوطن العربي

بدأت الولايات المتحدة خطواتها الأولى باتجاه الوطن العربي في عام ١٧٨٤م عندما أُلِف الكونجرس في شهر آيار - مايو - من ذلك العام لجنة خاصة للتفاوض مع ليبيا وتونس والجزائر والمغرب بشأن عقد اتفاقات تضمن سلامة السفن التجارية الأمريكية في البحر المتوسط، خصص الكونجرس مبلغ ٨٠ ألف دولار من أجل ذلك، وقد نجح الموفد الأمريكي ثوماس باركلي Thomas Barclay في عقد اتفاق مع المغرب فقط (في يوليو - تموز - ١٧٨٦م) وفشل في كل من ليبيا والجزائر، وأبرم الكونجرس الاتفاق مع المغرب الذي منح التجارة الأمريكية حقوق الدولة الأكثر رعاية في نفس الشهر من العام التالي ١٧٨٧م، وأقر توجيه رسالة شكر إلى إمبراطور المغرب.

كانت الولايات المتحدة تدفع سنوياً ١٤٠ ألف دولار رسوم المرور في المتوسط للأقطار العربية في الشمال الإفريقي، وعندما قررت الامتناع عن الدفع وقعت الاضطرابات.. وفي مارس - آذار من عام ١٧٩٤م، وافق الكونجرس الأمريكي على تمويل بناء أسطول حربي لضرب الجزائر، وكان الأسطول يتألف من ست قطع (٤٠).

لم تكن حرية الملاحة في البحر المتوسط هي التي أملت إنشاء الأسطول، بل كانت الولايات المتحدة تتطلع إلى دور في الوطن العربي يتوافق مع إيمانها بعقيدة الصهيونية المسيحية، وكان لابد من أجل

٤٠ - من هنا حصل الأسطول الأمريكي في المتوسط على اسم (الأسطول السادس).

أداء هذا الدور من حضور تجاري ودبلوماسي مدعوم بقوة عسكرية، « كان الدستور الجديد والأسطول الجديد ثمرة التجربة الأمريكية في الشرق الأوسط ».

أول قائد للأسطول الأمريكي في البحر المتوسط كان الأدميرال ريتشارد دال Richard Dale، وأول إعلان حرب أمريكي كان ضد ليبيا في عام ١٨٠١ م، وكان توماس جيفرسون Thomas Jefferson رئيسًا للولايات المتحدة.

بدأ حصار طرابلس في حزيران من عام ١٨٠٢ م، إلا أن الاضطرابات مع الجزائر والمغرب حملت قائد الأسطول على التراجع، وخاضت الولايات المتحدة الحرب بعشر سفن، وتمكنت في الرابع من يونيو — حزيران ١٨٠٥ م من حمل باشا طرابلس على توقيع اتفاق تسوية بموجب بنود اتفاقية أكرهت عليها طرابلس في عام ١٧٩٧ م، وفي نهاية عام ١٨٠٦ م عاد الأسطول الأمريكي إلى بلاده، ولم يبق منه سوى ثلاث قطع فقط.

في عام ١٨١٥ م أعلنت الولايات المتحدة الحرب على الجزائر بحجة الدفاع عن المصالح الاقتصادية الأمريكية في المنطقة، ومن الجزائر انتقلت القوات البحرية إلى تونس « في الخامس من آب أغسطس ١٨١٦ م » وحملتها على توقيع على اتفاقية بشروط أمريكية. « كان من نتيجة ذلك تحسين سمعة الولايات المتحدة في أوروبا وزيادة ثقة الرأي العام الأمريكي بحكومته وتعميم الشعور الوطني الأمريكي »^(٤١).

انطلقت الولايات المتحدة من اتفاقات الإذعان التي فرضتها على أقطار المغرب العربي نحو الباب العالي في إسطنبول، وفي ذلك الوقت كانت الإمبراطورية العثمانية أشد كثافة سكانية وأوسع مساحة

من الولايات المتحدة، وما أن عقدت معها اتفاق العام ١٨٣٠ حتى أطلقت العنان للبعثات التبشيرية البروتستنتية، وانتشرت ستون بعثة من هذا النوع - بقرار من المجلس الأمريكي للبعثات الخارجية (The American Board of Commioners For Foreign Missions) من اليونان حتى إيران، ومن إسطنبول حتى القدس.. هذه البعثات هي التي مهدت الطريق أمام مشاريع الاستيطان اليهودي في فلسطين عملاً بتعاليم الصهيونية المسيحية التي تؤمن بها الكنيسة البروتستنتية الأمريكية، وخلال فترة الخمسين عاماً من ١٨٥٠ حتى ١٩٠٠ كانت البعثات التبشيرية الأمريكية^(٤٢) رأس الحربة التي كانت تمسك بها الحركة الصهيونية، ففي عام ١٨٨٠، وفي أثناء انعقاد مؤتمر مدريد الذي تقاسمت فيه الدول الأوروبية النفوذ والهيمنة على الوطن العربي، «أبدى الوفد الأمريكي المشارك اهتماماً بقضية أساسية واحدة هي ضمان سلامة وازدهار الجالية اليهودية في طنجة»^(٤٣).

ظلت السياسة الخارجية للولايات المتحدة تتأرجح بين مصالحها الحيوية بالالتزام بمبدأ منرو لجهة عدم التدخل في القضايا الدولية،

٤٢- كان يوجد في تركيا ٢٩ مركزاً تبشيراً يضم ١٦٢ مبشراً أمريكياً يعاونهم ٩٠٠ موظف محلي، وكان هؤلاء يشرفون على إدارة ٣٦ مدرسة داخلية (٢٧٠٠ طالب) و٣٩٨ مدرسة ابتدائية «ألف طالب» استمرت التسهيلات التي كانوا يتمتعون بها حتى العام ١٨٤٦م عندما اكتشف الباب العالي دور هذه البعثات في تحريض الأقليات المسيحية ضد السلطنة، وعندما قامت الاضطرابات في أضنة في العام ١٩٠٦م ضد هذه البعثات وقتل المتظاهرون اثنين من المبشرين ودمروا وأحرقوا ممتلكات أمريكية، هددت الولايات المتحدة بالتدخل العسكري وسيرت قوة بحرية إلى الشواطئ التركية كانت تتألف من مدمرتين هما نورث كارولينا ومونتانا.

حول دور البعثات التبشيرية الأمريكية انظر:

John A . Denovo, American Interests and policies in the middle east.

.1900 - 1939 (Minneapolis, 1963) P . P . 8 - 16

Luella J . Hall the United states and Morocco 1776 - 1956 (Metuchen - ٤٣

N . J 2971) p . p . 220 - 224

وبين هواجسها الدينية الملحة لجهة المساهمة في إعادة إحياء صهيون تمهيداً للعودة الثانية للمسيح، وقد تغلبت الهواجس على المصالح، فتخلت عن مبدأ منرو، الأمر الذي جرّها فيما بعد إلى الانغماس في وحول الحربين العالميتين، وما بعدهما من حروب «كوريا، فيتنام...». «قبل دخول الولايات المتحدة الحرب العالمية الأولى كانت قوى الضغط «اللوبي» من المبشرين البروتستنت ومن الصهيونيين اليهود الأمريكيين قد مارست قدراً كافياً من الضغط على المسؤولين في الدوائر الحكومية الأمريكية من أجل الحصول على دور أمريكي أكثر فاعلية في شئون الشرق الأوسط»^(٤٤).

كان عدد سكان فلسطين في عام ١٩١٤ أقل من ٧٠٠ ألف شخص، منهم ٦٠٠ ألف عربي و ٨٥ ألف يهودي^(٤٥)، أما في الولايات المتحدة فكان يوجد ٣ ملايين يهودي بينهم ثلاثة آلاف فقط أعضاء في منظمات صهيونية، فالصهيونية اليهودية في الولايات المتحدة لم تنشط إلا بعد الحرب العالمية الأولى، ومن أبرز أوائل الصهاينة اليهود لويس براديز Lewis Bradies الذي عين في عام ١٩١٦ م رئيساً لمجلس القضاء الأعلى «المحكمة الاتحادية العليا» وهو الذي كان الرأس المدبر وراء سياسة الرئيس ولسون الصهيونية^(٤٦) ذلك أنه في ظل إدارة الرئيس ولسون تبنت الدبلوماسية الأمريكية مطالب أشد الصهاينة اليهود والمسيحيين تطرفاً في فلسطين.

أعربت تركيا في العام ١٩١٧ م عن استعدادها لعقد معاهدة سلام منفردة مع الولايات المتحدة، ووافق الرئيس ولسون على ذلك على

٤٤ - Y . Bryson. American Diplomatic Relations with the Middle East. p. 62

٤٥ - william yale. the near east : a modern history (ann arbor. mich 1958) p. 265

٤٦ - The realities of american - plaestine relations (washingion D . C. 1949) p. 116

أساس أن هذه المعاهدة سوف تمكنه من تحقيق الوطن اليهودي في فلسطين، ولكن المتطرفين الصهيونيين اليهود - الذين كانت علاقتهم مع بريطانيا أشد وثوقاً في ذلك الوقت - تخوفوا من احتمال عقد صفقة أمريكية - تركية تقلل من فرص تحقيق مشروعهم في فلسطين، وظف برانديز نفوذه لدى الرئيس ولسون، فاضطر السفير الأمريكي إلى الباب العالي مورغنثاو Morgenthau أن يصطحب معه في الوفد المفاوض أحد غلاة الصهيونيين اليهود في أمريكا فليكس فرانكفورت Flix Frankfurter، كما اضطر السفير مورغنثاو وهو في طريقه إلى سويسرا لمقابلة الدبلوماسيين الأتراك سرّاً، إلى الوقوف في جبل طارق حيث قابله هناك الدكتور وايزمان وتمكن من حمله على التراجع عن مهمته^(٤٧).. وبدلاً من مشروع معاهدة السلام الأمريكية التركية حصلت الحركة الصهيونية على التزام من الرئيس ولسون بتأييد وعد بلفور البريطاني، كانت هذه العملية، ربما، أول عملية ضغط للوبي الصهيوني في الولايات المتحدة.

بين الحربين العالميتين الأولى والثانية، اتخذ ضغط اللوبي الصهيوني الأمريكي توجّهاً معاكساً.. فبعد احتلال بريطانيا لفلسطين، وبعد حصولها على حق الانتداب في مؤتمر سان ريمو (نيسان - أبريل ١٩٢٠)، وبعد موافقة عصبة الأمم على ذلك (تموز - يوليو ١٩٢٢) أرادت الحركة الصهيونية أن تحصل من بريطانيا على ضوء أخضر لفتح أبواب الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وكان اليهود يكونون أقلية ضئيلة جداً (١٢٪)، وكان منحهم وطناً في فلسطين يتناقض مع مبادئ ولسون الأربعة عشرة وخاصة مبدأ حق تقرير المصير، وتركز الضغط الصهيوني على الولايات المتحدة أولاً لاستثناء اليهود من هذه القواعد والمبادئ باعتبار أن لهم حقاً إلهياً مقدساً في فلسطين، وثانياً لحمل بريطانيا على عدم تقييد الهجرة اليهودية باعتبار أن العودة هي إرادة

٤٧ - William yale. ambassador henry morgenthau's special mission of 1917. world politics. 1 (1944) p.p. 308 - 320

إلهية أيضًا، وكما نجحت الصهيونية البريطانية في حمل الولايات المتحدة على القبول بوعده بلفور - البريطاني نجحت الصهيونية الأمريكية في حمل بريطانيا على فتح أبواب الهجرة اليهودية، وهكذا سقطت «الورقة البيضاء White paper» التي أصدرتها وزارة الخارجية البريطانية في عام ١٩٣٩م والتي حددت عدد اليهود الذين يسمح لهم بالهجرة إلى فلسطين في السنوات الخمس التالية بـ ٧٥ ألفاً فقط، كما حددت مساحة الأراضي التي يسمح لليهود بتملكها.

كان تدخل الحركة الصهيونية ينطلق من الادعاء بأنه لا يحق لأي دولة أن تتدخل ضد إرادة الله في تحديد عدد اليهود الذين يسمح لهم بالعودة إلى فلسطين، أو في تحديد مساحة تملكهم في أرض الميعاد، فالله يريد عودة كل اليهود إلى كل فلسطين، والله منحهم صكاً أبدياً بملكية الأرض المقدسة لإقامة صهيون عليها، وبالتالي ليس مقبولا من أي قوة على الأرض أن تتحدى إرادة الله أو أن تعرقل تنفيذها.

«وجدت الولايات المتحدة نفسها بعد الحرب العالمية الثانية منغمسة في الشرق الأوسط.. فقد تراجعت الهيمنة البريطانية وأخذت الولايات المتحدة مكانها في أداء دور شرطي المنطقة وفي احتواء الاندفاع التوسعي السوفييتي التاريخي باتجاه البحر المتوسط.

«في الوقت نفسه كانت المشاعر الصهيونية تتنامى في الولايات المتحدة، وهي مشاعر تسير في اتجاه معاكس لاتجاه المصالح الأمريكية الرئيسة»^(٤٨)، وفي مقدمتها المصالح النفطية الجديدة، وفي كل مرة كانت فيها إدارة أمريكية أو جهاز من أجهزتها يحاول كبح جماح اندفاع المشاعر الصهيونية لحساب المصالح الوطنية، كانت هذه المشاعر تهيمن على القرار الأمريكي تحت مظلة القدسية الدينية التي كانت - ولا تزال - تتمتع بها.

كتب الملك عبدالعزيز آل سعود إلى الرئيس الأمريكي روزفلت في نيسان - أبريل ١٩٤٣ يحثه على عدم اتخاذ أى موقف من فلسطين قبل التشاور معه، وبرغم أن الرئيس الأمريكي تعهد في ٢٦ من آيار - مايو - من العام نفسه باحترام التشاور مع الملك السعودي، فإن الضغط الصهيونى «اليهودى والمسيحي» داخل الولايات المتحدة، قطع الطريق عليه، وفى هذا الوقت كانت الحركة الصهيونية قد كونت منذ عام ١٩٤١م بقيادة إيمانويل نيومان Emanuel Newmenn اللجنة الأمريكية الفلسطينية The American Palestine Committee التى تضم أعضاء فى الكونجرس والإدارة ورؤساء الجمعيات الأمريكية النافذة، وكانت هذه اللجنة تتمتع بعضوية ٦٨ سيناتور و ٢٠٠ نائب من أعضاء الكونجرس عندما دعت إلى تأييد البرنامج الصهيونى الذى اتخذ فى آيار - مايو - ١٩٤٢ فى نيويورك والذى يعرف باسم برنامج بلطيمور Baltimore، حتى إن الكونجرس أصدر فى عام ١٩٤٤م قراراتين يحث فيهما الإدارة الأمريكية على بذل جهودها من أجل إقامة «كومونولوث يهودي»^(٤٩) Jewish Commonwealth.

تصادف صدور القرارين مع مفاوضات أمريكية - سعودية لمد خط أنابيب التابلاين عبر السعودية، وبرغم القلق الذى غمر وزارة الخارجية الأمريكية لما يؤلفه القراران من خطر على المصالح الحيوية للولايات المتحدة، فإن الرئيس الأمريكى اضطر فى النهاية للخضوع، وكان روزفلت يحتاج إلى أصوات المقترعين فى الانتخابات الرئاسية فى عام ١٩٤٤، فكان لابد له من الخضوع لابتزاز الصهيونية اليهودية والمسيحية^(٥٠).

٤٩ - Manuel-american palestine relations. p.311

٥٠ - حول أثر النفط على السياسة الأمريكية . انظر:

George w. stocking, middle east oil: astudy in political and economic

(controversy (Nash 1970

وهكذا خلافاً لسياسة الولايات المتحدة تجاه الأقليات في الإمبراطورية العثمانية (البلغار، واليونان، والأرمن، والعرب) فإن الموقف الأمريكي من اليهود كان مختلفاً ومميزاً، وحدد هذا الموقف الأمريكي من موضوع الأقليات كوينسي أدامس Quincy Adams وجيمس مونرو James Monroe، وهو «التعاطف معها دون التدخل المباشر»، ولكن فيما يتعلق باليهود كان للولايات المتحدة الدور الرئيسي في إقامة إسرائيل مما يمثل انحرافاً عن التقليد الأمريكي الذي حددته أدامس ومونرو.. كما أن الولايات المتحدة كانت قد نصبت نفسها مدافعاً عن مبدأ حق تقرير مصير الشعوب، ولكن تبنيها للمطالب اليهودية في فلسطين حيث كان العرب يؤلفون الأكثرية «٨٦ في المائة» انتهك هذا المبدأ تماماً (٥١).

إن اعتناق الرئيس هاري ترومان Harry Truman للمسيحية لمنح حق المصير إلى الأقلية اليهودية، وعلى حرمان الأكثرية العربية في فلسطين من هذا الحق (٥٢).

في التاسع من أبريل - نيسان ١٩٤٨ م، أبلغ الدكتور وايزمان الرئيس ترومان القرار الصهيوني بإعلان ولادة إسرائيل عند منتصف ليل ١٤ آيار - مايو، وحثه على أن يقبل الأمر الواقع Fait accompli وأن يكون أول عضو في المجموعة الدولية يمنح إسرائيل الاعتراف. الصهيونيون المسيحيون أقنعوا الرئيس ترومان بالتجاوب مما يحقق له نصراً في الدنيا (انتخابات ١٩٤٨ م) وفي الآخرة (تحقيق إرادة الله في صهيون)، وصباح يوم ١٣ من آيار - مايو - كان ممثلو الحركات الصهيونية اليهودية والمسيحية يتحلقون حول الرئيس ترومان في مكتبه في البيت الأبيض

٥١ - T. Bryson. american Diplomatic relation. p. 161

٥٢ - Margaret Arakie. the broken sword of justic: Israel and palestine
stevens. american zionism. p.203 34-tragedy (London. 1973) p.p. 32

بينهم إياهو إيشتين Elihu Epstein ممثل المنظمة الصهيونية في واشنطن ، وقد أبلغوه أن إسرائيل سوف تنضم إلى المجتمع الدولي كدولة مستقلة عند الساعة ١٠ : ٦ حسب توقيت واشنطن . . بعد ظهر اليوم نفسه صدر عن البيت الأبيض القرار بالاعتراف بإسرائيل .

من أجل حماية الكيان الجديد ، أرست الولايات المتحدة قاعدتين لسياسة مستمرة حتى اليوم ، القاعدة الأولى هي إغراق إسرائيل بالمساعدات العسكرية والمالية ، والقاعدة الثانية هي مراقبة التسلح العربى ومنع الدول العربية من الحصول على أسلحة هجومية ، (البيان الثلاثى الأمريكى - البريطانى - الفرنسى لعام ١٩٥٠) ، هذه السياسة دفعت دولاً عربية « (مصر - سوريا - ليبيا - العراق - اليمن) نحو الاتحاد السوفيتى ودول المنظومة الاشتراكية للحصول على الأسلحة ، مما فجر الحرب الباردة الأمريكية - السوفيتية فى الوطن العربى ، فكانت النتيجة أن الصهيونية المسيحية قدمت تفسيراً عصرياً « ليأجوج ومأجوج » الذين سيهاجمون اليهود فى دولة صهيون حسب النبوءة التوراتية . . وقالت : إن « يأجوج ومأجوج » هم الروس ! ! ولكن بعد التوافق الأمريكى السوفيتى الذى بدأ فى عهد الرئيسين ميخائيل جورباتشوف ورونالد ريجان ، والذى يتواصل فى عهد الرئيسين جورباتشوف وجورج بوش ، متجسداً فى فتح أبواب الاتحاد السوفيتى أمام هجرة اليهود السوفيت إلى إسرائيل « أكثر من مليون مهاجر خلال العقد القادم » لابد من أن تبحث الصهيونية المسيحية عن قوم آخرين تمنحهم لقب « يأجوج ومأجوج » ! . فمن سيكونون يا ترى ؟

(٤)

الصهيونية المسيحية والإسلام

الصهيونية المسيحية والموقف الأمريكي

إذا كان الفكر اليهودي قد استغل الظلام الذي ساد أوروبا في القرن الخامس عشر وتسلسل إلى العقيدة المسيحية، وإذا كان هذا التسلسل قد أدى منذ القرن السادس عشر إلى وضع اليهود في إطار من القداسة الدينية المسيحية، وبالتالي إلى تعامل الكنيسة الجديدة «البروتستنتية والتطهرية» معهم كشعب ميزه الله على سائر الشعوب الأخرى، وأنه أي الشعب اليهودي - يملك صكاً إلهياً بملكية الأرض المقدسة، وأن عودته إلى فلسطين تحقق نبوءة توراتية تمهد للعودة الثانية للمسيح.

وإذا كان هذا الفكر اليهودي قد تمكن كذلك من ربط العقيدة الدينية المستحدثة بالمصالح الاستراتيجية للدول الأوروبية «بريطانيا وفرنسا»، ثم للولايات المتحدة الأمريكية، فإنه لم يقف عند هذه الحدود.. بل حاول التسلسل أيضاً إلى الإسلام نفسه في مواكبة تكاملية مع ما كانت تتعرض له المسيحية.

لم تلق محاولة التسلسل إلى الإسلام اهتماماً إسلامياً مبكراً لأسباب عديدة، فالغاية من المحاولة لم تكن موجهة إلى المسلمين والعرب مباشرة، بقدر ما كانت موجهة إلى الأوروبيين.. والذين قاموا بتلك المحاولة هم من الفلاسفة واللاهوتيين والمستشرقين اليهود الأوروبيين.

لقد كتبوا الأفكار التي اختلقوها باللغات الأوروبية «الإنجليزية والألمانية والفرنسية»، ولذلك بقيت هذه الأفكار بعيدة عن متناول المسلمين العرب حتى أواخر القرن التاسع عشر.

المحاولة أو المحاولات اليهودية - الأوروبية، تناولت الإسلام كدين، وتناولت العرب كمجتمع.. ثم طرحت موضوع الدور

والحضور اليهوديين في كلا الأمرين .

بالنسبة للدين الإسلامي ، حاول الفكر اليهودي أن يقدم الإسلام وكأنه مجرد اقتباس عن اليهودية . . حاول المستشرق اليهودي الألماني إبراهيم غايجر Abraham Geiger في كتابه (٥٣) الذي أصدره في عام ١٨٣٣ تصوير النبي محمد ﷺ ، وكأن لا عمل له سوى الاقتباس عن اليهودية ، بما في ذلك نظرية النبوة وفكرة الكتاب . . وحاول غايجر أن يصور يهود الجزيرة العربية على أنهم المصدر الذي استقى منه الرسول ﷺ هذه الأفكار (٥٤) .

وعلى هذا الخط نفسه صدر بعد مائة عام لمستشرق يهودي ألماني آخر هو : س . توري C. Torrey كتاب آخر بعنوان : «التأسيس اليهودي للإسلام» ، The Jewish Foundation of Islam ، قدم من خلال ترديد مزاعم التأثير اليهودي على عقيدة التوحيد في الإسلام ، نظرية حاول من خلالها أن يؤكد أهمية دور وحجم الوجود اليهودي في الجزيرة العربية امتداداً حتى فلسطين (٥٥) .

حتى المؤسسات الإسلامية نسبها س . غوتيان S-Goitein إلى اليهود في كتابه «اليهود والعرب» وحاول أن يبادر من خلال «وثائق الجنيزا» (٥٦) نظرية ينسب فيها التنظيم الإداري والمالي في العصور الإسلامية إلى اليهود ، وقد أصدر من أجل ذلك كتاباً في خمسة أجزاء ربط فيها بين الدين والاقتصاد والاجتماع في

٥٣- A. Geiger : Jews and arabs – their contacts through the ages

٥٤- انظر: ميشال جحا - الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا (بيروت ١٩٨٢) ص ١٩٢ .

٥٥- صدر هذا الكتاب في عام ١٩٣٣م ، أي قبل أكثر من نصف قرن على صدور كتاب: التوراة جاءت من جزيرة العرب للدكتور كمال الصليبي .

٥٦- اكتشفت هذه الوثائق في مصر قرب القاهرة وهي تلقى الأضواء على واقع اليهود في العهدين الفاطمي والأيوبي اجتماعياً واقتصادياً .

المجتمع الإسلامي على قاعدة الفكر اليهودي^(٥٧).

هذه الدراسات اليهودية حاولت من جهة أولى أن تنكر المقومات الذاتية للحضارة الإسلامية العربية، وحاولت من جهة ثانية أن تدعى استمرارية الوجود اليهودي في العقيدة والمجتمع والاقتصاد والإدارة الإسلامية، وأن تنفى بالتالي الغياب اليهودي عن المنطقة العربية تبريراً لقرار العودة متمثلاً في فكر الصهيونية المسيحية والصهيونية اليهودية معاً.

ذهب بعض المستشرقين اليهود أمثال مارك كوهن m. cohen إلى حد الادعاء بأن اليهود أقاموا لأنفسهم دويلات داخل الدولة الإسلامية^(٥٨) في مصر.

وقد جعل هذا المستشرق من التسامح الإسلامي مع أهل الكتاب من اليهود والنصارى ومن فتح أبواب الدولة الإسلامية أمام أكفاء منهم لتقلد المناصب التي يستحقونها، نقطة ضعف في بنية الدولة الإسلامية، ونقطة استقواء لدى اليهود، إلى حد الادعاء بأنهم أنشأوا كيانات ذات حكم ذاتي، ليس في مصر وحدها، بل حتى في المغرب العربي أيضاً.

ظل المستشرقون الأوروبيون وخاصة اليهود منهم ينظرون للمجتمعات الأوروبية على أساس أنه لا نظام إداري، ولا نظام مالي أو مصرفي أو ضرائبي، ولا نظام زراعة، ولا حتى عقيدة توحيد في العالم العربي الإسلامي لولا الوجود اليهودي.

هذا التنظير أخذ منحى جديداً في العقد الماضي من خلال الادعاء بأن المجتمع العربي - الإسلامي يتناقض مع الديمقراطية والمساواة بين الناس، وأن إسرائيل تشكل الجزيرة الديمقراطية

٥٧ - A . Mediterranean society : the Jewish communities of the arab world as portayed in the in documents of cairo Geniza

٥٨ - M. Cohen, Jewish Self - Government in Medieval Egypt

والمساواة بين الناس ، وأن إسرائيل تمثل الجزيرة الديمقراطية الوحيدة في الشرق (٥٩) .

كانت المساهمات الفكرية اليهودية تصدر بتلازم تام من حيث المضمون ومن حيث التوقيت مع متطلبات تطور الحركة الصهيونية وتقدمها نحو أهدافها ، فعندما احتاجت هذه الحركة إلى تقديم صورة متخلفة عن المجتمع العربي تنظيمياً وإدارياً ، جاءت مساهمات المستشرقين لتوفر لها ذلك ، وعندما احتاجت هذه الحركة إلى تقديم صورة عن الوجود اليهودي في الوطن العربي للإيحاء بأن هذا الوجود مستمر بشرياً وحضارياً ، وأنه ليس طارئاً ولا دخيلاً على المنطقة ، تجاوب المستشرقون اليهود في تقديم هذه المادة .

ذلك أن الصورتين ، صورة التخلف العربي ، وصورة الحضور اليهودي ، تجسدان مغاً وجهين لعملة الاستيطان اليهودي التي كانت الحركة الصهيونية بحاجة إلى طرحها للتداول العملي في المجتمعات الأوروبية والأمريكية ، وخاصة في الدوائر التي تصنع القرار في تلك التي تؤثر على صناعته .

تلاقت جهود عدد كبير من المستشرقين والفلاسفة واللاهوتيين اليهود في إنجاز هذه العملية ، منهم جوتيان ، وجايجر ، وجولدزيهر ، وشراینر ، وبريلمان ، وماجنس ، وشلوسنغر ، وتوريوهرشيرع (٦٠) ، ومونك الذي أسس مدارس يهودية في الإسكندرية في عهد محمد علي ، وكان في عداد الوفد اليهودي الذي زار حاكم مصر في العام ١٨٤٠ وفاتحه بشأن تخصيص كيان ما لليهود .

٥٩- B. Lewis, Islam and The Arab World

٦٠- راجع د. رضوان السيد: اليهودية والصهيونية في الاستشراق - مجلة الفكر

الإسلامي عدد كانون الثاني ١٩٨٩ ، ص ٣١ - ٤٦ .

وإذا كان بعض المفكرين العرب المحدثين قد سقط ضحية تضليل هذا الاستشراق اليهودي، فإن الإسلام خلافاً لما حدث في المسيحية، استعصى على الاختراق واحتفظ بسلامة العقيدة وبنقاوتها.

غير أن الفكر اليهودي حقق نجاحاً محدوداً جداً في ميدان، كما حقق نجاحاً واسعاً جداً في ميدان آخر. يتمثل النجاح المحدود جداً في ظهور بعض الحركات الارتدادية عن الإسلام كالقاديانية والبهائية وغيرهما (٦١).

استغل التزاوج بين التطلعات الصهيونية والمصالح الإستراتيجية لبريطانيا «خصوصاً في الهند وأفغانستان وإيران» المشاعر الشعبوية أحياناً، ومشاعر الإحباط أحياناً أخرى ليشجع على قيام حركات تفتت الإسلام من الداخل.

غير أن حصر هذه الحركات في أطراف العالم الإسلامي وعزلها بعيداً عن القلب في الوطن العربي، أدى إلى انحسارها وتآكلها. أما النجاح الواسع جداً فيتمثل في القضاء على الخلافة الإسلامية رمز الوحدة وقاعدتها، وفي بعث الشيفونية الطورانية في تركيا على حساب الاندماج مع العالم الإسلامي.

الكتابات الأولى عن قومية تركية منفصلة عن الإسلام «أى قبل الوصول إلى الأناضول» وعن تجاوز المرحلة الإسلامية من التاريخ التركي، هي كتابات يهودية في الدرجة الأولى: دافيد لوملي «يهودي» وضع كتاباً عن قواعد اللغة التركية، المستشرق فامبري «يهودي» وضع كتاباً عن التاريخ القومي للأتراك، أصبح أهم مصدر من مصادر الفكر القومي التركي، ليون كوهن «يهودي»

٦١- حول المبادئ العنصرية العرقية وأصولها ومدى ارتباطها بالحركة الصهيونية وبريطانيا، راجع: محمد السماك، الأقليات بيت العروبة والإسلام - دار العلم للملايين، بيروت ١٩٩٠.

وضع كتاباً عن الأصول التركية حتى العام ١٤٠٥، موسى كوهين «يهودي» وضع كتاباً عن الفكر التركي وعن الشخصية التركية المميزة، يكن ألب «يهودي ألماني كان يعتقد أنه تركي مسلم» وضع كتاباً عن «الأتراك والجامعة التركية»^(٦٢).

لعبت فرقة الدونمة دوراً رئيساً في سحب خيوط القومية التركية من النسيج الإسلامي. فالفرقة التي نشأت أساساً على الإيمان بنظرية «هامشيح»، أي المسيح اليهودي المنتظر أصبحت «العنصر الرئيس لحركة جمعية الاتحاد والترقي»^(٦٣)، وتولى أعضاء منها مناصب رسمية «وزير المال جاويد الدونمي» وتوجيهية «رئيس تحرير جريدة الوطن الناطقة بلسان الاتحاد والترقي حسين جاهد».

استطاع الفكر اليهودي المباشر والمتستر تحت العباءة التركية أن يزرع نظريات تقول بانتماء الأتراك إلى الجنس الآري المتقدم على الجنس السامي، وبأن الانحطاط التركي سببه الإسلام، وأنه بالتالي لا خلاص للأتراك إلا بفك ارتباطهم بالإسلام^(٦٤).

أدى الأخذ بهذه النظريات إلى استبدال الإسلام بالقومية الطورانية الأمر الذي فسح المجال أمام جملة من ردود الأفعال القومية في سائر أنحاء الإمبراطورية العثمانية، أدى بالنتيجة إلى تفسخ وحدتها وسهل عملية اقتسامها واستلاب أطرافها.

٦٢ - Encyclopedie De L'Islam, Paris, 1934, P 927.

٦٣ - د. جعفر هادي حسن: فرقة الدونمة بين اليهودية والإسلام، بيروت، مؤسسة الفجر ١٩٨٨م.

٦٤ - قامت جمعية الوطن السرية التي أسسها مصطفى كمال في العام ١٩٠٦ على أساس هذه النظريات، واتخذت من مدينة سالونيك - (في اليونان اليوم) التي كان معظم سكانها من اليهود - مقراً لها.

«٥»

مؤسسات الصهيونية المسيحية

قبل قيام إسرائيل في العام ١٩٤٨ ، كانت أيديولوجية الصهيونية المسيحية تقوم على :

- ١- اعتبار اليهود شعب الله المختار *god favoured nation* .
 - ٢- اعتبار أن الله منح اليهود صكاً أبدياً بالأرض المقدسة في فلسطين .
 - ٣- العمل على تجميع اليهود في فلسطين وإقامة وطن قومي يهودي تنفيذاً لمشيئة الله .
- وبعد قيام إسرائيل أصبحت أيديولوجية الصهيونية المسيحية تقوم على :

- ١- إعطاء كلمة إسرائيل معنى دينياً رمزياً وليس مجرد اسم دولة . والالتزام الأخلاقي *moral commitment* بدعم إسرائيل هو التزام ديني ثابت ودائم وليس مجرد التزام سياسي متغير ومتحرك وفقاً لمقتضيات لعبة الأمم .
- ٢- اعتبار شرعية الدولة اليهودية مستمدة من التشريع الإلهي وبالتالي اعتبار قيام الدولة تحقيقاً للنبوءات الدينية .
- ٣- التشديد على أن أرض إسرائيل *eretz* هي كل الأرض التي وعد الله بها إبراهيم وذريته ، وبالتالي فإن هذه الأرض لا تقف عند حدود التقسيم للعام ١٩٤٩ ، ولا عند حدود العام ١٩٥٦ ، أو حدود العام ١٩٦٧ ، وإنما لا تشمل فقط الضفة الغربية «يهودا والسامرة» وقطاع غزة ، ولكن تشمل كل الأرض الموعودة ، من النيل إلى الفرات .

- ٤- استمرار العمل بالشعار الذي يقول : إن الله يبارك إسرائيل ويلعن لاعنيها . وإنه يتعين على أساس ذلك تقديم كل أنواع الدعم والمساعدة المادية والمعنوية لإسرائيل للحصول على بركة الرب ،

ومن خلال ذلك تلتزم كنائس الصهيونية المسيحية في الولايات المتحدة بتجيش الرأي العام وبتوجيه القيادات لتأييد إسرائيل أيًا كان القرار الذي تتخذه على أساس أن هذا القرار يترجم إرادة الله.

وعندما يتناقض القرار الإسرائيلي مع النظام الدولي، ومع المواثيق والمعاهدات الدولية الأخرى، فإن القرار الإسرائيلي هو الذي يجب أن يحترم لأنه يعكس إرادة الله بينما لا يعكس القانون الدولي سوى إرادة الإنسان. وحيث تتناقض الإرادات فإن إرادة الله هي التي يجب أن تحترم وأن يخضع لها.

لا تزال الولايات المتحدة تجسد مركز استقطاب الحركات الصهيونية المسيحية المعاصرة.

هذه الحركات تتجذر في الكنيسة الإنجيلية الأمريكية وتمدد فروعها في شتى شرائح المجتمع الأمريكي عبر الكنيسة والإعلام والجامعة معًا.

في السادس من شباط - فبراير - ١٩٨٥ م، ألقى بنجامين ناتانيا وهو سفير إسرائيل السابق لدى الأمم المتحدة خطابًا أمام مؤتمر صهيوني مسيحي عقد في واشنطن، قال فيه: «هناك شوق قديم في تقاليدنا اليهودية للعودة إلى أرض إسرائيل. هذا الحلم الذي يراودنا منذ ألفي سنة تفجر من خلال المسيحيين الصهيونيين»..

«المسيحيون هم الذين عملوا على تحويل الأسطورة الجميلة إلى دولة يهودية»..

يوجد الآن أكثر من ٢٥٠ منظمة من المنظمات المسيحية الصهيونية، أهمها:

المصرف الأمريكي المسيحي من أجل إسرائيل

the american christian trust for israel

المهمة الأساسية للمصرف «البنك» هي تمويل استملاك الأراضي العربية، وتمويل بناء المستوطنات اليهودية، وتمويل تهجير اليهود

إلى إسرائيل .

تدير عمليات هذا المصرف السيدة بوبى هروماس bopi hromas ، زوجة الدكتور لسلى هروماس leslie hromas أحد كبار المسؤولين في مؤسسة دفاعية في كاليفورنيا . ويحول المصرف الأموال التي يجمعها عبر السفارة الإسرائيلية في واشنطن أو عبر مصرف بتسدا الدولي في ميريلاند international bank in bethesda- maryland الذي أسسه رئيس المنظمة الصهيونية الأمريكية دونالد وولب donald wolpe وهو المصرف الوحيد في الولايات المتحدة الذي له فرع في إسرائيل .

● مؤتمر القيادة الوطنية المسيحية من أجل إسرائيل :

the national christian leadership conference for israel يرأس هذا المؤتمر فرانكلين ليتل franklin h . little أستاذ في جامعة المعبد temple في بنسلفانيا ، وهو صاحب شعار يقول : «حتى تكون مسيحياً يجب أن تكون يهودياً» .

من نشاطات هذه المنظمة نشر بيانات في الصحف الأمريكية تأييداً لإسرائيل . من هذه البيانات ، بيان نشر في صفحة كاملة من صحيفة واشنطن بوست washington post وصحيفة نيويورك تايمز n . y . times في أثناء الاجتياح الإسرائيلي للبنان في العام ١٩٨٢ . جاء في البيان : «أن معارضي الاجتياح هم لا ساميون» . و «أن من حق إسرائيل أن تدافع عن نفسها وعن شعبها بالوسائل التي تراها مناسبة» .

انبثقت عن هذه المنظمة جمعية «المؤتمر الوطني المسيحي» the national christian congress ومهمتها التصدي لأي صفقة أسلحة تعقدتها الولايات المتحدة مع أي دولة عربية أو إسلامية «محافظة على أمن وسلامة إسرائيل» .

● الاتحاد المسيحي من أجل سلامة أمريكا

christian united for american security

ومهمتها ربط سلامة أمريكا بسلامة إسرائيل ، وتأكيده نظرية
رضى الله عن أمريكا من خلال حسن معاملة أمريكا لإسرائيل .
وتتولى هذه المنظمة استناداً إلى هذه التعاليم إعداد لوائح
بأسماء الشخصيات البارزة في المجتمع الأمريكي لتسجيل توافيقها
على بيانات التأييد لإسرائيل التي ترسل إلى البيت الأبيض أو إلى
الكونجرس أو التي تنشر في الصحف .

● تاف الرعويات الإنجيلية TAV EVANGELICAL

MINISTRIES

«تاف هي لفظة الحرف الأخير من الأبجدية العبرانية» ، ومهمتها
تجيش الرأي العام الأمريكي وراء إسرائيل من خلال المؤتمرات
والمهرجانات والمنشورات والإعلانات في الصحف ..

ومن هذه المنظمات أيضاً منظمة «الصوت المسيحي» THE
CHRISTIAN VOICE ومركزها في كاليفورنيا ، وتبلغ
ميزانيتها السنوية ١,٥ مليون دولار . ومنها أيضاً منظمة «الائتلاف
الأمريكي» من أجل القيم التقليدية The american coalition for
traditional values ويترأسها في سان دياغو san diego القس
والكاتب المعروف تيم لي هاي time le haye .

● ومنها منظمة «المسيحيون المتحدون من أجل إسرائيل»
christian united for esrael وهي المنظمة التي تقدم الدعم
المباشر إلى القوات المتعاملة مع إسرائيل في الشريط المحتل من
جنوب لبنان والتي تعرف باسم «جيش لبنان الحر» . وتصدر عن هذه
المنظمة نشرة إخبارية شهرية ومجلة فصلية باسم «ساعي القدس
والنبوءات المختارة» jerusalem courier and prophecy digest
ويشرف عليها القس دافيد لويس david lewis .

● ومنها أيضاً منظمة «جبل المعبد» temble mount

foundation ، ومهمتها إعادة بناء هيكل سليمان في القدس .
ولذلك أقامت هذه المنظمة الأمريكية مركزها الرئيس في مدينة
القدس . وهي تتولى جمع الأموال اللازمة لامتلاك العقارات المجاورة
لموقع الهيكل وتمويل عمليات الحفر التي تجرى تحت المسجد
الأقصى بحجة البحث عن أسس الهيكل المتهدم .

يرأس هذه المنظمة تيرى رازنهوفر terry risenhoofer
وتنبثق عنها لجنة إنجيلية مهمتها جمع الأموال من أصحاب
الملايين الأمريكيين . ويتولى الإشراف على هذه اللجنة ثلاثة من
كبار الشخصيات المسيحية الصهيونية في الولايات المتحدة هم
تشاك كريجر chuck kriegler وجيمس ديلوش james deloach
ورايزنهوفر نفسه .

لا تقف الحركة الصهيونية المسيحية عند حدود المنظمات
الأمريكية وحدها . بل إنها تحاول أن تتوسع لتشمل دولاً عديدة
أخرى ، إما من خلال الكنائس ، أو من خلال ما للولايات المتحدة من
هيمنة وتأثير مادي ومعنوي على هذه الدول .

● لعل أبرز ظاهرة توسع تلك التي تتمثل في انتشار منظمة
السفارة المسيحية الدولية في القدس international christian
embassy jerusalem .

تكونت هذه المنظمة في الثلاثين من سبتمبر - أيلول ١٩٨٠ م
في القسم الغربي من مدينة القدس ردًا على قرار ١٣ دولة نقلت
سفاراتها من القدس إلى تل أبيب كمبادرة رفض لقرار الحكومة
الإسرائيلية تهويد القدس الشرقية وتوحيدها مع القدس الغربية
وإعلان المدينة الموحدة «عاصمة أبدية لإسرائيل» .

تضامناً مع إسرائيل تداعى أكثر من ألف رجل دين من رجالات
الصهيونية المسيحية من كنائس في ٢٣ دولة وعقدوا مؤتمراً في
القدس برئاسة الدكتور دوجلاس يونج douglas young مدير

المعهد الأمريكي لدراسات الأرض المقدسة. انتخب هذا المؤتمر صهيونيًا مسيحيًا متطرفًا هو جان فان دير هوفين jan van der hoeven وهو هولندي لرئاسة المنظمة التي اتفقوا على تأليفها.

● مبرر وهدف تكوين المنظمة حدده بيانها الأول الذي جاء فيه: «إن الله وحده هو الذي أنشأ هذه السفارة الدولية في هذه الساعات الحرجة من أجل تحقيق راحة صهيون واستجابة حب جديد لإسرائيل» (٦٥).

يعتبر المؤتمر الذي عقدته المنظمة في بال بسويسرا- والذي حضرته ٥٨٩ شخصية قيادية من الحركة الصهيونية المسيحية من ٢٧ دولة مختلفة (٦٦) - عنوانًا لمرحلة جديدة من عمل الصهيونية المسيحية. فقد اختارت المنظمة مدينة بال بالذات، واختارت القاعة نفسها التي عقد فيها المؤتمر الصهيوني الأول، واختارت كذلك شهر آب- أغسطس بالذات بعد ٨٨ سنة، لتعقد مؤتمرها الدولي الأول في العام ١٩٨٥. يقول البيان الذي صدر عن هذا المؤتمر (٦٧):

«نحن الوفود المجتمعين هنا، ومن دول مختلفة ومن ممثلي كنائس متنوعة، في نفس هذه القاعة الصغيرة والتي اجتمع فيها منذ ٨٨ عامًا مضت الدكتور تيودور هرتزل ومعه وفود المؤتمر الصهيوني الأول والذي وضع اللبنة الأولى لإعادة ميلاد دولة إسرائيل، جئنا معًا للصلاة ولإرضاء الرب، ولكي نعبر عن ديننا الكبير وشغفنا العظيم

٦٥ - Evangelical Christian Zionism in America (Chicago) April 1985

٦٦ - كان من بين الدول الممثلة في هذا المؤتمر الصين والهند وسريلانكا من آسيا، ونيجيريا والجايبون وساحل العاج وزائير من إفريقيا.

٦٧ - الدكتور يوسف الحسن - البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي الصهيوني - مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٩٠، ص ١٣ - ١٤

انظر أيضًا: Declaration of the International Christian Zionist Leadership Conference, Basel (Switzerland) 27 - 29 August, 1985

بإسرائيل «الشعب والأرض والعقيدة» ولكي نعبر عن التضامن معها،
وأنا ندرك اليوم وبعد اليوم المعاناة المريرة التي تعرض لها اليهود،
إنهم ما زالوا يواجهون قوى حاكمة ومدمرة مثل تلك التي تعرضوا لها
في الماضي».

وإننا كمسيحيين ندرك أن الكنيسة أيضًا لم تنصف اليهود طوال
تاريخ معاناتهم واضطهادهم.

إننا نتوحد اليوم في أوروبا بعد مرور أربعين عامًا على الاضطهاد
للإهود-الهولوكست- لكي نعبر عن تأييدنا لإسرائيل، ونتحدث
عن الدولة التي تم إعداد ميلادها هنا في بال، إننا نقول: «أبدًا... ولا
رجعة للقوى التي يمكن أن تتسبب في استرجاع أو تكرار هولوكست
جديدة ضد الشعب اليهودي».

كما ورد في مبادئ الإعلان أيضًا: «إننا نهنيء دولة إسرائيل
ومواطنيها على الإنجازات العديدة التي تحققت في فترة وجيزة تقل
عن أربعة عقود، إننا نحضكم على أن تكونوا أقوياء في الله وعلى أن
تستلهموا قدرته في مواجهة ما يعترضكم من عقبات، وإننا نناشدكم
بحب أن تحاولوا تحقيق العديد مما تصبون إليه».

وعليكم أن تدركوا أن يد الله وحدها هي التي ساعدتكم على
استعادة الأرض وجمعتكم من منفاكم طبقًا للنبوءات التي وردت في
النصوص المقدسة. وأخيرًا فإننا ندعو كل مسيحي أن يشجع ويدعم
أصدقاء اليهود في كل خطواتهم الحرة التي يستلهمونها من الله».

أما القرارات الأربعة عشر التي صدرت عن المؤتمر فهي (٦٨):

١- عدم تقديم تنازلات من الغرب إلى الاتحاد السوفيتي مادام

٦٨- الدكتور يوسف الحسن - البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع
العربي الصهيوني - مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٩٠، ص ١٣٤ - ١٣٥.

انظر أيضًا Declaration of the International Christian Zionist Leadership

.Conference, Basel (Switzerland) 27 - 29 August. 1985

لا يسمح بهجرة اليهود إلى إسرائيل مباشرة. كما نطالب إسرائيل بدعوة كل الأسر اليهودية في الاتحاد السوفيتي للعودة إلى بيتها في إسرائيل.

٢- تشجيع إسرائيل ومواطنيها على المشاركة في كل الهيئات والمؤسسات الدولية الحكومية منها وغير الحكومية. ونطالب وفودنا الرسمية وغير الرسمية بدعم المشاركة الإسرائيلية في كل الاجتماعات، أو الانسحاب منها إذا ما رفضت عضوية إسرائيل فيها.

٣- على كل الأمم الاعتراف بإسرائيل، وإقامة علاقات دبلوماسية كاملة معها. ونخص بالذكر حكومة الفاتيكان، وإسبانيا، والاتحاد السوفيتي والكتلة الشرقية، فضلاً عن الدول العربية ودول العالم الثالث.

٤- يعلن المؤتمر بأن يهوذا والسامرة هما بالحق التوراتي، والقانون الدولي، وبحكم الواقع، جزء من إسرائيل وعلى إسرائيل أن تعلن ضمهما على هذا الأساس. ونطالب مجتمعاتنا وكنائسنا بـ«التوأمة» مع مثيلاتها في يهوذا والسامرة والمساهمة في تأسيس حدائق عامة وغابات فيها.

٥- نطالب كل الأمم بالاعتراف بالقدس عاصمة أبدية موحدة لإسرائيل وبنقل سفاراتها من تل أبيب إلى القدس.

٦- نطالب الدول الصديقة لإسرائيل، بوقف تزويد أية دولة في حالة حرب مع إسرائيل بالأسلحة، بما في ذلك مصر التي وقعت اتفاقية مع إسرائيل، ما لم تلتزم بنصوص اتفاقية إنشاء علاقات طبيعية مع إسرائيل، بما في ذلك العلاقات التجارية والسياحية.

٧- نطالب كل الحكومات بنبذ منظمة التحرير الفلسطينية، وعدم تقديم أى عون أو مساعدة لها أو الاعتراف بها، أو بالمنظمات التابعة لها باعتبار أنها منظمات إرهابية تهدف إلى تدمير إسرائيل وشعبها «وتأتى هذه المطالبة تنفيذاً لما ورد في التوراة حول أن الله

يبارك من يبارك اليهود ويلعن من يلعنهم».

٨- إدانة كل أشكال معاداة السامية Anti-semitism وتشمل

اللاسامية عدااء اليهودية والصهيونية وإسرائيل.

٩- الدعوة لتذكر كل الفظائع التي ارتكبتها ما تسمى الحضارة

المسيحية، وما يسمون المسيحيين، ضد اليهود على مر العصور.

وبخاصة المذابح الجماعية في الحرب العالمية الثانية، والالتزام بالعمل

على عدم تكرارها مرة ثانية.

١٠- العمل على توطين اللاجئين العرب الذين تركوا إسرائيل

عام ١٩٤٨، «وبناء على دعوات قادة العرب، والهادفة إلى إخلاء أرض

المعارك من المدنيين العرب لتدمير إسرائيل وشعبها» في البلدان التي

رحلوا إليها. كما يطالب المؤتمر بالعدالة لليهود الذين فقدوا أسرهم

وأملأهم وبيوتهم خلال عمليات قمعهم في البلدان العربية، وأجبروا

على طلب اللجوء إلى إسرائيل ودول أخرى.

١١- مساعدة إسرائيل اقتصاديًا، وذلك بإنشاء صندوق استثمار

دولي برأس مال قدره مئة مليون دولار، للاستثمار في تطوير إسرائيل.

وبخاصة في مجال السياحة والصناعات التقنية المتقدمة.

كما يعلن المؤتمر عن التزام أعضائه بالعمل على تشجيع استيراد

وشراء البضائع الإسرائيلية، والخدمات الإسرائيلية في أوطانهم،

وكذلك تشجيع الاستثمار الخاص في إسرائيل.

١٢- مطالبة كل المسيحيين، وكل الأمم بعدم الخضوع لأنظمة

المقاطعة العربية لإسرائيل.

١٣- دعوة مجلس الكنائس العالمي في جنيف إلى الاعتراف

بالصلة التوراتية التي تربط بين الشعب اليهودي وأرضه الموعودة،

وكذلك بالبعد التوراتي والنبؤي لدولة إسرائيل.

١٤- يصلى أعضاء المؤتمر «وينظرون بلهفة» لليوم الذي

تصبح فيه القدس مركزاً لاهتمام الإنسانية، حينما تصبح

مملكة الرب حقيقة واقعة.

صدرت عن هذه المنظمة عدة صحف جديدة تروج لأفكارها ومبادئها. منها المجلة الشهرية ministries والمجلة السنوية the review.

وتتولى مجلة ثالثة نشر دراسات التقارير التي تصدر عن المنظمة هي charisma ذات الانتشار الواسع داخل الولايات المتحدة وخارجها. أقامت المنظمة فروعاً لها حتى الآن في أكثر من أربعين دولة وأهم مراكزها «خارج الولايات المتحدة» في هولندا وجنوب إفريقيا وأستراليا ونيوزيلندا، أما في الولايات المتحدة فقد أقامت ٢٢ مركزاً حتى الآن في ٢٢ ولاية، أما مقرها الرئيس فهو في مدينة مونتريت montret في ولاية كارولينا carolina. ويقضى برنامجها بأن يكون لها مركز في كل ولاية. يقوم على رأس كل مركز رجل دين مسيحي صهيوني برتبة قنصل. مهمة هذه المراكز هي تنظيم التجمعات والمظاهرات المؤيدة لإسرائيل، وجمع التبرعات والمساعدات، وبيع السندات لدعم إسرائيل^(٦٩). وتجاوباً مع الضغط الذي مارسته هذه المنظمة صدر عن مجلس الكونغرس الأمريكي «مجلس الشيوخ ومجلس النواب» بياناً بالاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل، وبدعوة الإدارة الأمريكية لتعديل موقفها من هذا الموضوع والاعتراف بالقدس^(٧٠) موحدة عاصمة أبدية لإسرائيل.

٦٩- خلال اجتياح لبنان في العام ١٩٨٢ م، قامت المنظمة بحملات واسعة للتبرع بالدم لمصلحة الجيش الإسرائيلي الذي منى في لبنان بخسائر بشرية بلغت ٦٥٤ قتيلًا و ٣٨٤٠ جريحًا استنادًا إلى الأرقام الرسمية الإسرائيلية.

٧٠- صدر القراران في شهر نيسان - أبريل ١٩٩٠ م.

(٦)

الصهيونية المسيحية والقانون الدولي

لا بد أولاً من تعريف سريع للقانون الدولي . إنه مجموعة من المبادئ والأعراف والأنظمة تعترف بها دول ذات سيادة وتتعهد باحترامها والالتزام بها في علاقاتها المتبادلة .

طبعاً هناك تعاريف عديدة أخرى ، ولكن وكما يقول مثل صيني : على المرء أن يحتفظ لنفسه ، بعدة تعاريف لموضوع واحد حتى لا يفاجأ باعتماد أكثر هذه التعاريف وضوحاً .

من هذه التعاريف أن القانون الدولي هو علم الحقوق القائمة بين الأمم والدول ، وأنه علم الالتزامات التي تتفق مع هذه الحقوق . ومن هذه التعاريف أيضاً أنه مجموعة من المبادئ والأنظمة التي تعترف بها الدول المتحضرة لتنظيم علاقاتها المتبادلة . ومنها كذلك أنه مجموعة الأنظمة التي تلتزم بها الدول المتحضرة كما يلتزم المواطن صاحب الضمير الحي بإطاعة قانون بلاده .

هناك مدرستان أساسيتان حول علاقة الدول بالقانون الدولي . الأولى : مدرسة الازدواجيين ، وهي مدرسة تقول باختلاف القانون الدولي عن القانون الوطني من حيث إن الأول ينشأ عن أسرة الدول وعن معاهدات وعقود قائمة بينها . أما الثاني فإنه ينشأ عن عادات تقوم في أرض الدولة وعن تشريعات تضعها سلطاتها المختصة (٧١) .

الثانية : هي مدرسة الاندماجين ، أو الوجدويين ، وهي مدرسة تذهب إلى حد القول : إن الحكومات الوطنية تستمد سلطاتها المشروعة من القانون الدولي . وإن هذا القانون يمكن أن يصل

إلى الحد من السيادة الوطنية المطلقة (٧٢).

أيًا تكن التعاريف، وأيًا تكن المدارس الفقهية القانونية، فإن ثمة جامعًا مشتركًا بينها جميعًا وهو أن المجتمع الدولي يحكمه قانون دولي، وأن على دول العالم أن تلتزم بهذا القانون، وأن كل من يخرقه، يتعرض للإدانة والعقوبة الدوليتين، كما يدان ويعاقب الخارج على القانون.

المفهوم الصهيوني

لابد ثانيًا من تعريف الصهيونية. بوجهيها، الصهيونية اليهودية، والصهيونية المسيحية، وكما بينا سابقًا (٧٣)، تقوم الصهيونية على ثوابت ثلاثة:

١ - إن اليهود هم شعب الله المختار.
٢ - إن الله وعد اليهود وملكهم أرض الميعاد من النيل إلى الفرات.

٣ - إن ظهور المسيح مرتبط بقيام صهيون وبتجميع اليهود فيها حتى يظهر المسيح فيهم (كما تقول الصهيونية المسيحية) أو حتى يظهر المسيح منهم، (كما تقول المسيحية اليهودية). هذه الثوابت الدينية الثلاثة تعنى أمرًا واحدًا. وهو أن القانون الذي يطبق على اليهود، هو قانون إلهي. وأنه حيث يتعارض القانون الإلهي مع القانون الدولي، فإن قانون الله هو الذي يجب أن ينفذ لأنه يعكس إرادة الله ومشيئته. هذه الإرادة محددة بتمليك اليهود أرض فلسطين، وبحقهم غير المشروط في الاستيطان فيها، وبتعامل شعوب العالم معهم على أساس أنهم أمة الله التي تسمو فوق كل قوانين الأمم وأنظمتها. وإن كل عمل يقومون به

٧٢ - من أعلام هذه المدرسة: جورج سيل، وكلسن.

٧٣ البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي - الصهيوني، يوسف الحسن مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت ١٩٩٠ م.

هو وحي من الله لا بد من تقبله واحترامه (٧٤).

في ضوء هذين التعريفين للقانون الدولي ، وللمحركة الصهيونية ،
نقف أمام المفاصل الأساسية التي تقاطعت فيها مسيرة الحركة
مع القانون الدولي لنبين كيف أدى ذلك إلى التأثير على تبلور
صورة جغرافية العالم الإسلامي كما نعرفها اليوم .

ثم نقف بعد ذلك أمام المفاصل الأساسية التي تتقاطع فيها هذه المسيرة المتواصلة للحركة الصهيونية من خلال إسرائيل، مع القانون الدولي المعاصر، لنبين كيف يمكن أن يؤدي ذلك إلى التأثير على مستقبل جغرافية العالم الإسلامي إذا استمرت الأمور على ما هي عليه اليوم.

المذكورة التي وجهها في العام ١٦٤٩ من هولندا عالما اللاهوت
(التطهريان) الإنجليزيان جوانا وألينزر كارترايت Joanna and
Elenezer Cartaright إلى الحكومة البريطانية والتي طالبا فيها
- كما أشرنا سابقًا - «بأن يكون للشعب الإنجليزى ولشعب الأرض
المنخفضة شرف حمل أولاد وبنات إسرائيل على متن سفنهم
إلى الأرض التي وعد الله بها أجدادهم: إبراهيم وإسحق ويعقوب
ومنحهم إياها إرثًا أبديًا» (٧٥)، هذه المذكرة تجسد بذرة الشر
الأولى التي نمت وترعرعت على حساب القانون الدولي، ونفذت
على مدى الأجيال بدماء ودموع المسلمين والمسيحيين العرب
من أهل فلسطين والوطن العربي.

أنبتت هذه البذرة شعار أنطوني كوبر - اللورد شافستبرى - في العام ١٧٣٩ «وطن بلا شعب لشعب بلا وطن»^(٧٦). وهو الشعار

٧٤- القبوة والسياسية - جريس هالسل، ترجمة محمد السماك - جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ١٩٨٩ م.

٧٥- البعد الدينى فى السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربى - الصهيونى، يوسف الحسن مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت ١٩٩٠ م.

Quarterly Review- Londin. March 1839 State nad Prospect of the Jews -V6

الذى تلقفه مهندس السياسة البريطانية فى مطلع القرن التاسع عشر جلادستون ليزاوج بين الهدف التوراتى بتهويد فلسطين وبين المصالح الاستراتيجية لبريطانيا فى الوطن العربى . وقد تولى وزير الخارجية اللورد بالمرستون تخطيط السياسة الخارجية البريطانية على أساس هذا التزاوج .

قبل قيام إسرائيل:

وتنفيذًا لذلك ، مارست بريطانيا منذ ذلك الوقت الضغط على السلطان العثمانى لفتح أبواب فلسطين أمام هجرة اليهود الروس الذين تعرضوا للاضطهاد بعد حادث اغتيال القيصر ألكسندر الثانى . كان لبريطانيا أهداف متعددة :

- ١ - قطع الطريق أمام هجرة اليهود الروس إلى بريطانيا .
 - ٢ - تجميع اليهود فى فلسطين تحقيقًا للنبوءة التوراتية .
 - ٣ - تكوين أقلية يهودية فى فلسطين تطلب الحماية البريطانية .
- بتنفيذ هذه الأهداف رسمت بريطانيا الخطوط الأولى للجغرافيا القائمة حاليًا فى الوطن العربى ، تم ذلك كله على حساب حق الفلسطينيين فى دولة ، وعلى حساب الحق العربى فى وطن موحد ، وبالتالى على حساب القانون الدولى .
- تعهدت بريطانيا للحركة الصهيونية بتحويل (أوغندة) إلى وطن قومى لليهود . إلا أن المؤتمر الرابع للحركة الصهيونية الذى عقد فى العام ١٩٠٣م أصرّ على فلسطين ، فوافقت بريطانيا .
- من أجل ذلك وضعت فلسطين فى برنامج التقسيم الذى وضعه مارك سايكس وجورج بيكو (وزيراً خارجيتى بريطانيا وفرنسا) فى العام ١٩١٦ تحت إدارة دولية خلافاً لبقية أجزاء الوطن العربى^(٧٧) .

في العام ١٩١٦ م اتفقت الدول الكبرى الثلاث في ذلك الوقت، بريطانيا وفرنسا وروسيا على اقتسام الإمبراطورية العثمانية. نص الاتفاق على أن تحصل روسيا على القسطنطينية وعلى ممرات البوسفور وعلى قسم من شرق الأناضول، كما نص على أن تحصل فرنسا على سوريا والموصل وعلى جزء من جنوب الأناضول بما فيه الإسكندرونة. أما بريطانيا فتحصل على بقية العراق إضافة إلى مصر.

● الصراع الفرنسي-البريطاني على فلسطين أدى إلى اتفاقهما على وضعها تحت إدارة دولية (٧٨).

ضربت الثورة البلشفية في روسيا في العام ١٩١٧ ميزان التفاهم الدولي، فجمد تنفيذ الاتفاق، ثم أعيد النظر فيه على أساس استبعاد روسيا واقتسام حصتها بين فرنسا وبريطانيا وكشفت روسيا عن سر اتفاق سايكس-بيكو وعرف به العرب للمرة الأولى من خلال البيان الروسي (٧٩).

كان الاتفاق يتناقض مع الوعود البريطانية للعرب، والتي نصت عليها رسائل مكماهون إلى الشريف حسين، وكانت آخر رسالة من مكماهون إلى فيصل الأول بتاريخ تشرين الأول-أكتوبر ١٩١٥، أصدر بلفور وزير خارجية بريطانيا بياناً توضيحياً حاول من خلاله إقناع العرب بأن بريطانيا ملتزمة بمضمون تعهداتها بموجب رسائل مكماهون، وأن اتفاق سايكس بيكو لا يتناقض مع هذه التعهدات، ولكن في الوقت الذي كان بلفور يردد ذلك كانت الجغرافية الجديدة لاتفاق

٧٨- Document on British Foreign Policy 1919 - 1939 (London. 1952 -

First Series. vol. 4 p p. 7 - 340

٧٩- تاريخ الشرق الأوسط الحديث - ديزموند ستيفارت - ترجمة زهدى جبار الله، دار

النهار للنشر - بيروت ١٩٧٤ م

سايكس - بيكو تثبت في المحاضر الدولية.

مهد اتفاق سايكس - بيكو لإصدار وعد بلفور في العام ١٩١٧م، وعندما اتفقت الدول الكبرى في مؤتمر سان ريمو في العام ١٩٢٠م على الانتداب البريطاني على فلسطين، أصبح الوعد جزءاً من هذا الانتداب، وعندما أقرت عصبة الأمم في العام ١٩٢٢م هذا الاتفاق رسمياً، وتكون العصبة بهذا قد احتالت على القانون الدولي بموافقتها المسبقة على مضمون الوعد الذي هو جزء من الانتداب.

بعد مؤتمر فرساي في العام ١٩١٩، توجه وفد عربي إلى لندن لمفاوضة الحكومة البريطانية حول فلسطين، غير أن الوفد أحيل إلى الدائرة الصهيونية في وزارة المستعمرات، مما أوحى (للوفاة) بأن بريطانيا هي بصدد تسليم فلسطين إلى الحركة الصهيونية. وفي فلسطين نفسها، بدأت السلطات البريطانية تسرح الموظفين العرب وتعين مكانهم موظفين يهوداً^(٨٠).

في هذه الأثناء أعلن المؤتمر الصهيوني في مدينة هيغ في هولندا - خلافاً حتى لوعد بلفور - أن هدف الحركة الصهيونية ليس الحصول على وطن يهودي بل على دولة يهودية، وقال وايزمان: «كما أن أمريكا أمريكية، وفرنسا فرنسية، فإن اليهود يريدون أن يجعلوا من فلسطين يهودية»^(٨١).

تنفيذاً لذلك، اتفقت فرنسا وبريطانيا في مؤتمر سان ريمو ١٩٢٠، على وضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني تمهيداً لتنفيذ الوعد لليهود، تجاهل نص الانتداب تماماً أكثرية الـ ٩٢ بالمئة من سكان فلسطين العرب، وأشار ١٤ مرة إلى اليهود وإلى

٨٠ - المصدر السابق

٨١ - The ARABS - A. Nutting

المؤسسات اليهودية. أما العرب، فلم يشير النص إليهم إلا في صيغة «المجموعات غير اليهودية» الموجودة في فلسطين^(٨٢).

عندما اعترض العرب على مضمون وعد بلفور، فوضت بريطانيا أحد مسئولياتها فيما كان يعرف باسم المكتب العربي في القاهرة، وهو القومندان هوجارث Commander Hogarth امتصاص رد الفعل العربي أيضاً، فأصدر بيانه الذي قال فيه: «إن أي مستوطنة يهودية في فلسطين لن تقام إلا في حدود مراعاة الحريات السياسية والاقتصادية للسكان العرب»^(٨٣).

ولكن في هذا الوقت بالذات، كان توقيع جغرافية التوطين اليهودي في فلسطين يتم في لندن بين وايزمن وبلفور على قاعدتي وعد بلفور واتفاق سايكس-بيكو.

لم تحترم أي من الموائيق والمعاهدات أو الاتفاقات الدولية مع العرب، من رسائل مكماهون إلى الحسين وفيصل، إلى توضيحات بلفور وهوجارث، إلى الإعلان البريطاني في حزيران يونيو - ١٩١٨^(٨٤)، والإعلان البريطاني - الفرنسي المشترك في تشرين الثاني - نوفمبر ١٩١٨^(٨٥)، إلى اتفاق فيصل - كليمنصو في تشرين الثاني - نوفمبر ١٩١٩^(٨٦)، كل هذه الالتزامات لم تحقق سوى هدف واحد، وهو كبح جماح الغضب العربي، وامتصاص رد الفعل، ورسم الجغرافية الجديدة في الوطن

٨٢- المصدر السابق.

٨٣- تاريخ الشرق الأوسط - د. ستوارت.

٨٤- ينص هذا الإعلان على سيادة واستقلال المناطق التي يحررها العرب، وعلى منح المناطق التي يحررها الإنجليز والعرب حق تقرير المصير واحترام إرادة السكان.

٨٥- ينص هذا الإعلان على منح حق تقرير المصير للعراق وسوريا وعلى عدم فرض أي نظام على أي منهما.

٨٦- ينص هذا الاتفاق على تأكيد الاتفاقات السابقة مع بريطانيا بالسيادة العربية المطلقة على كل المنطقة الممتدة من العقبة إلى حلب بما في ذلك دمشق.

العربي وفق مقتضيات خلق الكيان الصهيوني، وعلى قاعدة ضمان نمو هذا الكيان وتوسعه على حساب الكيانات العربية المركبة من حوله.

خلافًا لنص ولروح مبادئ ولسون الـ ١٤ بشأن حقوق الشعوب في تقرير مصيرها، تبني الرئيس الأمريكي وودرو ولسون وعد بلفور في مذكرة وجهها في ٣١ / ٨ / ١٩١٨م إلى الحاخام ستيفن واير.

هذا التبنى والالتزام بتنفيذ وعد بلفور، أصبح من ثوابت القانون الدولي وحق الشعوب في تقرير مصيرها، وتمثل هذا الالتزام بالضغط الأمريكي ليس فقط على السلطنة العثمانية للسماح بتوطين اليهود «مهمات السفير الأمريكي في إسطنبول ليو والاس» إنما تمثل أيضًا بالضغط على بريطانيا لحملها على التراجع عن مضمون الورقة البيضاء ١٩٣٩ التي تحدد عدد المهاجرين اليهود ومساحة الأراضي التي يحق لهم تملكها في فلسطين^(٨٧).

كان تدخل الحركة الصهيونية ينطلق من الادعاء بأنه لا يحق لأي دولة أن تتدخل ضد إرادة الله في تحديد عدد اليهود الذين يسمح لهم بالعودة إلى فلسطين، أو في تحديد مساحة تملكهم في أرض الميعاد، فالله يريد عودة كل اليهود إلى كل فلسطين، والله منحهم صكًا أبدًا بملكية الأرض المقدسة لإقامة صهيون عليها، وبالتالي ليس مقبولاً من أي قوة على الأرض أن تتحدى إرادة الله أو أن تعرقل تنفيذها.

وهكذا خلافًا للقانون الدولي ولسياسة الولايات المتحدة تجاه

الأقليات في الإمبراطورية العثمانية «البلغار، واليونان، والأرمن، والعرب» فإن الموقف الأمريكي من اليهود كان مختلفاً ومميزاً. كانت الولايات المتحدة نصّبت نفسها مدافعاً عن مبدأ حق تقرير مصير الشعوب، ولكن تبنيتها للمطالب اليهودية في فلسطين حيث كان العرب يكونون الأكثرية «٨٦ في المائة» انتهك هذا المبدأ تماماً (٨٨).

مرحلة ما بعد قيام إسرائيل:

أرسى الاعتراف الأمريكي بالكيان الإسرائيلي قاعدتين لسياسة أمريكية مستمرة حتى اليوم، القاعدة الأولى هي إغراق إسرائيل بالمساعدات العسكرية والمالية، والقاعدة الثانية هي مراقبة التسليح العربي ومنع الدول العربية من الحصول على أسلحة متطورة. «البيان الثلاثي الأمريكي - البريطاني - الفرنسي للعام ١٩٥٠ م».

انتهكت إسرائيل قرار الأمم المتحدة للعام ١٩٤٧ كما انتهكت حتى وعد بلفور للعام ١٩١٧، فالأمم المتحدة قسمت فلسطين إلى دولتين تقوم عليهما معاً إسرائيل اليوم. أعطى القرار بنصه الجائر ثلث السكان «اليهود» ٥٦ بالمائة من الأرض، ثم إن الأمم المتحدة التي أعطت الفلسطينيين حق تقرير المصير بموجب قرار التقسيم نفسه، تقف مكتوفة الأيدي أمام رفض إسرائيل الاعتراف حتى بوجود الشعب الفلسطيني. بل إن الأمم المتحدة لم تحرك ساكناً عندما بادرت إسرائيل فور قيامها، إلى ضم ٢٨ بالمائة من الأراضي العربية فوق ما نص عليه قرار التقسيم.

عندما أبلغت بريطانيا الأمم المتحدة أنها ستنتهي من جانب

واحد الانتداب على فلسطين عند منتصف ليل ١٤ - ١٥ من آيار - مايو - ١٩٤٨ ، ألفت المنظمة الدولية لجنة خاصة للتحقيق (U. N. S. C. O. P. Special Committee on Palestine) قررت اللجنة التي قاطعها العرب تقسيم فلسطين إلى سبعة جيوب ، ثلاثة للعرب ، وأربعة لليهود ، ورفعت تقريرها إلى الأمم المتحدة في تشرين الثاني - نوفمبر - من العام ١٩٤٧ . الضغط الأمريكي - خاصة على دول أمريكا اللاتينية - والحماس السوفيتي ، أديا إلى إقرار التقسيم في ٢٩ من الشهر نفسه ، بأكثرية ٣٣ ضد ١٣ . على أساس حيثيات هذا القرار اعترفت الأمم المتحدة بإسرائيل وقبلت عضويتها .

. أى أن الاعتراف الدولي كان مشروطاً بقرار التقسيم ؛ هذا القرار تطالب دول عربية بتنفيذه ولكن الرد الإسرائيلي هو أنه قرار تجاوزه الزمن ! ..

بعد انسحاب القوات البريطانية في ١٥ من آيار - مايو - ١٩٤٨ م دخلت مجموعات من الجيوش العربية إلى فلسطين ووقعت « حرب الأسلحة الفاسدة » الشهيرة . وعندما تم وقف إطلاق النار ، عقدت مفاوضات الهدنة في رودس بإشراف الأمم المتحدة ، بادرت إسرائيل وبتواطؤ بريطاني إلى غزو جنوب النقب واحتلت العقبة . فرسمت بهذا الاحتلال خطأ جديداً في جغرافية التوسع الصهيوني على حساب جغرافية الأمة العربية . ذلك أن العقبة تمثل رأس جسر ليس فقط إلى خليج العقبة ، بل إلى البحر الأحمر ، وامتداداً إلى المحيط الهندي .

استعمل الإسرائيليون الإرهاب عندما ثار الفلسطينيون ضد الاغتصاب الإسرائيلي ، وأجبروا في العام ١٩٤٨ ، ٧٥٠ ألفاً من الفلسطينيين على الهجرة . قامت منظمة الهاجاناه Haganah نواة الجيش الإسرائيلي مع منظمات إرهابية أخرى ، أرغون

Irgun ، وشترن Stern بتهجير العرب من حيفا ويافا واللد والرملة وبئر السبع وبيسان . قاد موشى دايان وحدات مؤلفة من الجيش إلى اللد حيث ارتكبت مجزرة أدت إلى تهجير بقية السكان البالغ عددهم ثلاثين ألفاً . وشهدت دير ياسين في نيسان - أبريل ١٩٤٨ ، أبشع جرائم الإرهاب والقتل الجماعي على يد منظمة شترن ، حيث قتل ٢٥٠ شيخاً وامرأة وطفلاً ، وألقيت جثثهم في الآبار .

ومع ذلك فإن الدول القيمة على القانون الدولي وعلى رأسها الولايات المتحدة تعتبر الفلسطينيين مجرد مجموعات إرهابية ، وترفض الاعتراف بحقوقهم في تقرير المصير وإقامة دولتهم ، بل ترفض حتى الاعتراف بمنظمة التحرير باعتبارها الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني .

التحدى المستمر للقانون الدولي:

منذ قيام إسرائيل في عام ١٩٤٨ م وهي تنتهك بصورة مستمرة ومتمادية القانون الدولي ، وترسم من خلال ذلك خطوطاً جديدة في الجغرافيا السياسية للوطن العربي . تتركز هذه الانتهاكات أساساً على خطوط الحياة التي ترسم حدود هذه الجغرافيا وتحدها .

هذه الخطوط هي :

أولاً : مجارى الأنهار .

ثانياً : الممرات المائية .

أولاً : بالنسبة للأنهار : ويمكن تسجيل العناوين الآتية :

١- في عام ١٩٥٣ م بدأت إسرائيل أولى محاولاتها لتحويل مجرى نهر الأردن .

٢- في عام ١٩٦٤ م منعت إسرائيل تحويل روافد نهر الأردن

في لبنان وسوريا .

٣- في عام ١٩٧٨ م احتلت إسرائيل مجرى نهر الليطاني في جنوب لبنان ، وهي تجر مياهه منذ ذلك الوقت إلى الأرض المحتلة .

٤- تمنع إسرائيل بناء سد الوحدة السوري - الأردني على نهر الأردن ما لم تكن شريكة ثالثة في المشروع .

٥- في عام ١٩٧٩ م طلبت إسرائيل من مصر في كامب ديفيد تحويل جزء من نهر النيل إلى النقب المحتل في إسرائيل .

٦- تحاول إسرائيل الاتفاق مع أثيوبيا لإقامة سدود على نهر النيل داخل الهضبة الأثيوبية للضغط على مصر .

٧- كانت إسرائيل عاملاً أساسياً في القرار الأمريكي الذي اتخذ في عام ١٩٥٦ م بالتراجع عن تمويل بناء السد العالي في مصر مما اضطرها إلى طلب المساعدة السوفياتية لبناء السد .

٨- تلعب إسرائيل دوراً مؤثراً وفعالاً في عدد من الدول الغربية والمصارف الدولية لتمويل مشاريع السدود التركية على نهر الفرات حتى يكون لإسرائيل دالة على تركيا تمكّنها من أن تمسك بمجرى النهر فتحاً أو غلقاً أو تقنياً للضغط على سوريا والعراق .

٩- صادرت إسرائيل جميع الآبار الارتوازية داخل الضفة الغربية ومنعت العرب من حفر آبار جديدة ، وركبت عدادات على الآبار العربية القائمة لتقنين استخراج المياه الصالحة للشرب والزراعة تضيقاً على العرب وتسهيلاً لعمليات الاستيطان اليهودي .

أدى مشروع السد العالي على النيل إلى العدوان الثلاثي على مصر في عام ١٩٥٦ م ، وأدى مشروع تحويل روافد نهر الأردن في عام ١٩٦٤ م إلى حرب ١٩٦٧ م ، وأدى مشروع استثمار نهر الليطاني في جنوب شرق لبنان إلى اجتياح لبنان أولاً في عام

١٩٧٨ م، ثم في عام ١٩٨٢ (٨٩).

إن كل عنوان من هذه العناوين يمكن أن يؤلف بحثًا قائمًا بذاته، ولكن لابد من القول: إن المتغيرات التي تفرضها إسرائيل سواء بالقوة العسكرية، أو بقوة التواطؤ الدولي، تغير من جغرافية الوطن العربي سياسيًا واقتصاديًا واجتماعيًا وسكانيًا على حد سواء. وكلما تراجع الجغرافية العربية خطوة إلى الوراء، تقدمت الجغرافية الصهيونية خطوتين إلى الأمام؛ خطوة ملء فراغ التراجع العربي، وخطوة التحفز استعدادًا للمرحلة التي تليها.

ثانيًا: بالنسبة للممرات المائية:

تمتد جغرافية الوطن العربي من مضيق جبل طارق بين البحر المتوسط والمحيط الأطلسي، إلى باب المندب بين البحر الأحمر والمحيط الهندي. وتشمل هذه الجغرافية قناة السويس «بين البحرين الأحمر والمتوسط» ومضائق تيران في العقبة، كما تشمل مضيق هرمز الذي يمثل عنق الزجاجة بين الخليج العربي وبحر العرب.

تصوروا لو كانت هناك استراتيجية عربية واحدة في هذه المنطقة، ولو كانت هناك قبضة عربية واحدة متمكنة حول هذه الممرات المائية!!

أول تغيير في هذه الجغرافية حققته إسرائيل في كانون الثاني - يناير - من العام ١٩٤٩ م في العقبة عندما احتلت جنوب النقب وأقامت في موقع أيلة مرفأ إيلات الاستراتيجية الإسرائيلي. ثم بعد العدوان الثلاثي على مصر في العام ١٩٥٦ م، ركزت أقدامها في هذه المنطقة تحت مظلة قوات الأمم المتحدة إلى أن تمكنت

٨٩- راجع: القرار العربي في الأزمة اللبنانية - محمد السماك - دار الكتاب اللبناني بيروت ١٩٨٣ م.

بعد حرب عام ١٩٦٧م من الحصول على حق الملاحة عبر البحر الأحمر إلى شرق إفريقيا، وإلى آسيا كلها.

التعاون الإسرائيلي الأثيوبي في عهد هيلاسيلاسي ثم في العهد الحالي، يدفع بالجغرافية العربية في البحر الأحمر إلى الوراء، حتى إن باب المندب الذي كان أداة ضغط عربية على الملاحة الإسرائيلية، بدأ يفقد هذه الميزة من خلال الوجود العسكري الإسرائيلي في بعض جزر البحر التي أجرتها أثيوبيا إلى إسرائيل ومنها جزيرة دهلك التي تقيم فيها إسرائيل قاعدة بحرية - جوية متقدمة.

بعد حرب ١٩٧٣م، أصبحت إسرائيل تتمتع بحق الملاحة في قناة السويس. وبرغم أن مضيق جبل طارق لم يستعمل أبداً حتى كأداة تهديد ضد الملاحة الإسرائيلية، فإن إسرائيل بممارستها سياسة اليد الطويلة وصلت إلى تونس عندما ضربت قيادة منظمة التحرير الفلسطينية، ووصلت كذلك إلى الجزائر عندما نسفت في مرفأ عنابة زوارق فلسطينية للتدريب.

أما شرقاً فإن إسرائيل على لسان إرييل شارون تعتبر أن باكستان كدولة إسلامية قادرة على إنتاج سلاح نووي، تقع في إطار استراتيجية الأمن الإسرائيلي. وبالتالي فإن استنزاف الباكستان من الداخل «إثارة الفتن والاضطرابات المذهبية والإثنية» أو من الخارج «تأجيج صراعاتها مع الهند» يصبح هدفاً من أهداف استراتيجية الأمن الإسرائيلي، وهكذا فإن الجغرافية الإسلامية من باكستان حتى المغرب ترسم معالمها متطلبات الأمن الاستراتيجية لإسرائيل سواء تم ذلك بصورة مباشرة عبر العدوان، أو التهديد بالعدوان، أو بصورة غير مباشرة عبر الولايات المتحدة ودول عربية أخرى^(٩٠).

٩٠- راجع: الأقليات بين العروبة والإسلام - محمد السماك - دار الكتاب اللبناني

تغطية الانتهاكات الإسرائيلية للتعاون الدولي:

هكذا في كل مرة يصطدم فيها التصرف الإسرائيلي بالقانون الدولي، وفي كل مرة يشعر المجتمع الدولي بشيء من الخجل بسبب انتهاك سيادة الدول، أو حقوق الإنسان، تنبرى الولايات المتحدة لاستعمال النقض - الفيتو - في مجلس الأمن، ضد أي مشروع ينص على فرض عقوبة على إسرائيل أو إدانة سلوكها، مما يجعلها وهي المتمردة على كل المواثيق والمعاهدات والقوانين والأعراف الدولية فوق أي إدانة أو لوم.

عندما أحرق إسرائيلي المسجد الأقصى في آب - أغسطس - من عام ١٩٦٩ م، استعملت الولايات المتحدة الفيتو ضد إدانة مجلس الأمن لهذه الجريمة المنكرة، وعندما قتل إسرائيلي بدم بارد ثمانية من العمال العرب في ضاحية تل أبيب في آيار - مايو - من عام ١٩٩٠، استعملت الولايات المتحدة الفيتو ضد إدانة هذه الجريمة وعندما وقعت جريمة المسجد الأقصى حيث قتل ٢١ مصلياً وجرح أكثر من ١٥٠ في اعتداء على المسجد مارست الولايات المتحدة النقض ضد إدانة هذه الجريمة.

فإسرائيل في نظر ذاتها، وفي نظر الصهيونية المسيحية مالكة القرار وصانعته في الولايات المتحدة، هي فوق العقاب وفوق الإدانة، إنها فوق القانون الدولي؛ لأنها فوق حسابات البشر.

إن لإسرائيل موقعاً، بل مواقع في الصراعات داخل الدول العربية «لبنان - جنوب السودان - الأكراد وغيرها من الأقليات الدينية، أو الإثنية»، وفي الصراعات بين الدول العربية «الصحراء الغربية» وفي الصراعات بين الدول العربية ودول الجوار غير العربي «شط العرب مع إيران، نهر الفرات مع تركيا، إريتريا مع إثيوبيا، حوض نهر السنغال بين السنغال وموريتانيا».

ولإسرائيل موقع فى تخفيض سقف العلاقات العربية - الأوروبية ، وفى تعطيل نمو العلاقات العربية مع بقية العالم الثالث ، ولها موقع فى إخراج الأمة العربية من دائرة الوفاق الدولى الجديد حتى أن الدول العربية تصور فى العالم وكأنها المتضرر الوحيد من هذا الوفاق .

إذا ضيقت دولة ما أبواب هجرة اليهود منها ، أو عبرها إلى إسرائيل ، تنهال عليها وصمة اللاسامية وتتهم بالتالى بخرق القانون الدولى ، ولكن إسرائيل تمنع عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم ، وتفرض قيوداً مشددة على إقامة وعلى تنقل الذين بقوا منهم فى الأرض المحتلة ، مشابهة لقوانين التمييز العنصرى فى جنوب إفريقيا ، وتحرمهم من حق التملك ، ومع ذلك فإن أحداً لا يتهم إسرائيل بخرق القانون الدولى .

إن قانون العودة الإسرائيلى الذى يعتبر كل يهودى إسرائيلياً أيّاً كانت الجنسية التى يحملها هو فى حد ذاته خرق للقانون الدولى ولقوانين الدول التى يوجد فيها يهود ، بما فى ذلك المادة الأولى من الدستور الأمريكى نفسه .

ولكن أحداً من هؤلاء لا يعترض ، ولا يجروء على الاعتراض ، بل إن التوافق الدولى الجديد على تهجير اليهود إلى إسرائيل وخاصة من الاتحاد السوفيتى ومن بقية دول أوروبا الشرقية ، يفرض واقعياً .

إن أخشى ما نخشاه هو أنه إذا لم تصح الأمة العربية على واقعها ، فإن كل المنطقة من الوطن العربى التى تقع بين النيل والفرات معرضة لأن تصبح فى يوم أو فى آخر ضفة عربية جديدة ، أو غزة جديدة ، ربما مع انتفاضة ، وربما بدونها ، وسوف تتعرض المناطق الأخرى من الوطن العربى للتدجين وللإستيعاب فى إطار الهيمنة الصهيونية .

في التاسع من حزيران - يونيو - ١٠٩٩ حاصر الصليبيون القدس، وفي الخامس عشر من الشهر التالي، تموز يوليو اقتحموها من بوابتها الشمالية، يقول ابن الأثير إن ٧٠ ألفاً من الشيوخ والنساء والأطفال قتلوا في المسجد الأقصى وحده وكان الصليبيون قد قتلوا مئة ألف آخرين وهم في طريقهم إلى المدينة المقدسة^(٩١) مع ذلك، واستناداً إلى ابن الأثير أيضاً لم تحرك بغداد «عاصمة الخلافة» إصبغاً ولم يحرك الوزير الفاطمي الفاضل أسطوله إلى المرافئ الإسلامية المحاصرة مرت أربعين سنة قبل أن يعيد المسلمون توحيد صفوفهم وتجميع قواهم.. ليخوضوا سلسلة من الحروب استمرت نحو مئتي سنة إلى أن تمكنوا من إعادة تحرير القدس بعد معركة حطين.

وعندما احتل الإنجليز القدس في الحرب العالمية الأولى، ودخلتها قوات الجنرال اللنبي General Allenby في ١٠ يناير ١٩١٧ دقت أجراس الكنائس في كل أوروبا «بما في ذلك ألمانيا»، ابتهاجا وفرحاً^(٩٢).. علماً بأن الحرب في أوروبا كانت أساساً بين بريطانيا وألمانيا.

لقد مر ٤٢ سنة على قيام إسرائيل، فمتى توحد الأمة العربية صفوفها ومتى تعيد تجميع قواها؟.. متى تقوم حطين الثانية.. وتحرر القدس؟..

٩١- الحروب الصليبية - سيد علي الحريري - تحقيق عصام محمد شبارو - دار التضامن، دار الكتاب الحديث، بيروت ١٩٨٨.

٩٢- The ARABS- A. Nutting

في مواجهة الصهيونية المسيحية

على الرغم من قوة تأثير وفعالية الصهيونية المسيحية في الولايات المتحدة، فإن لهم معارضين من داخل الكنيسة الإنجيلية نفسها، ومن خارجها.

أولاً: من داخل الكنيسة الإنجيلية:

أهم قاعدة لهذه المعارضة الإنجيلية تتمثل في المجلس الوطني لكنائس المسيح National council of the Churches of Christ، ويضم هذا المجلس ٣٤ طائفة يبلغ عدد أتباعها نحو الأربعين مليون شخص^(٩٣) وتصدر عن هذا المجلس مجلة شهرية تدعى «القرن المسيحي» Christian Century كما تصدر عنه مجلة شهرية أخرى تدعى «المسيحية والأزمات» The Christianity and Crisis.

يستقطب المجلس ومجلتاه الإنجيليين الليبراليين الذين يرفضون التفسير الحرفي للكتاب المقدس، كما يرفضون الصهيونية اللاهوتية في الكنيسة ومن أبرز المواقف السياسية التي اتخذها المجلس الوطني لكنائس المسيح، إعلانه في عام ١٩٧٩م أن من حق منظمة التحرير الفلسطينية الاشتراك في أي مفاوضات للسلام باعتبارها الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني^(٩٤).

يعبر عن هذه المواقف والآراء دوريات أخرى أبرزها ثلاث:

أ- مجلة المقيمون Sojourners وتصدر في واشنطن العاصمة.

ب- مجلة الطرف الآخر The Other side وتصدر في فيلادلفيا.

٩٣- Thomas Wiley, American Christianity: The Jewish State and The Arab - Israeli Conflict (Washington D. C George Town University,

Center for Contemporary Arab Studies. 1983. P. 11

٩٤- المصدر السابق

ج- مجلة المصلح The Reformer وتصدر في ميتشجان .
والمجلات الثلاث تنتقد باستمرار وبشدة الصهيونية المسيحية ،
وتدعو إلى احترام حقوق الشعب الفلسطيني ، وخاصة حقه في تقرير
مصيره .

ومن الكنائس الإنجيلية المتعاطفة مع هذا الخط ، ولو بنسب
متفاوتة ، الكنيسة المشيخية Presbyterians ، والكنيسة المنهجية
Methodists ، والكنيسة المعمدانية Baptists ، والكنيسة الأسقفية
Episcopalians ، وهذا يعنى أن ثمة طرقاً مفتوحة ، وجسوراً قائمة للعمل
من أجل كبح جماح الصهيونية المسيحية ، وعدم الاستسلام لنفوذها
المدمر .

ثانياً: من خارج الكنيسة الإنجيلية:

ظهر أول موقف للكنيسة الكاثوليكية من الحركة الصهيونية في آيار
- مايو من العام ١٨٩٧ م عشية المؤتمر الصهيونى الأول ، جاء فى هذا
الموقف (٩٥):

«لقد مر ألف وثمانمئة وسبعة وعشرون سنة على تحقيق نبوءة
المسيح ، بأن القدس سوف تدمر .. أما فيما يتعلق بإعادة بناء القدس
بحيث تصبح مركزاً للدولة الإسرائيلية يعاد تكوينها ، فيتحتم علينا أن
نضيف أن ذلك يتناقض مع نبوءات المسيح نفسه الذى أخبرنا مسبقاً
بأن القدس سوف تدوسها العامة «جنتيل» حتى نهاية زمن العامة «لوقا
٢١ / ٢٤» ، أى حتى نهاية الزمن» .

وبعد سبع سنوات على إعلان هذا الموقف ، وجه البابا بيوس العاشر
pope pius x رسالة جوابية إلى ثيودور هرتزل theodor Hertzi مؤسس
الحركة الصهيونية قال فيها (٩٦):

«لا نستطيع أبداً أن نتعاطف مع هذه الحركة - الصهيونية - نحن لا نستطيع أن نمنع اليهود من التوجه إلى القدس، ولكننا لا يمكن أبداً أن نقره.. إنني بصفتي قيماً على الكنيسة لا أستطيع أن أجيبك بشكل آخر.. لم يعترف اليهود بسيدنا، ولذلك لا نستطيع أن نعترف بالشعب اليهودي، وبالتالي، فإذا جئتم إلى فلسطين وأقام شعبكم هناك، فإننا سنكون مستعدين كنائس ورهباناً لتعميدكم جميعاً» (٩٧).

بعد صدور وعد بلفور، في عام ١٩١٧م، أوفدت الحركة الصهيونية أحد أعضائها، وهو الروسي ناحوم سوكولوف Nahum sokolov لمقابلة البابا بنديكت الخامس عشر pope benedict xv.

في هذا اللقاء الذي تم في العاشر من آيار - مايو - ١٩١٧م، قال البابا: «لا لسيادة اليهود على الأرض المقدسة».

دافعت الصحافة الكاثوليكية في أوروبا وفي الولايات المتحدة نفسها عن موقف البابا.. حتى إن المجلة الكاثوليكية الأمريكية the american catholic quarterly review نشرت في عددها الصادر في نيسان - أبريل - ١٩١٨م، مقالاً بعنوان:

«موقف المسيح من التطلعات السياسية - الدينية لليهود» قالت فيه: «بما أن الانتقام هو صفة اليهود المميزة، فإن التدمير الكامل لأعدائهم هو من أعظم إنجازات تطلعاتهم القومية.. ويرى كثير من اليهود في إشباع مشاعرهم الانتقامية جزءاً من عظمة مستقبلهم السعيد».

تلقف البابا التضامن الإسلامي - المسيحي العربي في فلسطين ضد وعد بلفور ليؤكد رفض السيادة اليهودية على الأرض المقدسة.. ففي كانون الأول - ديسمبر - ١٩٢٠م، تألفت هيئة إسلامية - مسيحية Muslim - christian association in plaestine لمطالبة السلطات البريطانية بإعادة النظر في وعد بلفور.. كما أن المؤتمر العربي الثالث

في حيفا طالب باستبدال الانتداب البريطاني بحكومة عربية .. احتلت أحداث الانتفاضة الفلسطينية في ربيع ١٩٢١ م الصفحات الأولى في الصحف الكاثوليكية في العالم .. وفي ١٤ من حزيران - يونيو - ١٩٢١ م أعلن البابا (٩٨) :

«إن الوضع في فلسطين لم يتحسن .. بل إنه ازداد سوءاً من خلال التنظيمات المدنية الجديدة التي استهدفت عملياً على الأقل ، ولو من غير قصد أصحابها ، إقصاء المسيحية عن موقعها السابق ووضع اليهود في مكانها .. ولذلك فإننا نهيب بحرارة بجميع المسيحيين بمن فيهم الحكومات غير الكاثوليكية أن تحت عصبة الأمم على إعادة النظر في الانتداب البريطاني على فلسطين» .

وفي ١٥ من أيار - مايو - ١٩٢٢ م وجه الفاتيكان مذكرة رسمية إلى عصبة الأمم تنتقد بشدة إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين ، وجاء في المذكرة التي وضعها الكاردينال كاسباري Cardinal caspari :

«إن الحبر الأعظم لا يعارض في أن يتمتع اليهود في فلسطين بالحقوق المدنية أسوة بغيرهم من أبناء الجنسيات والمعتقدات الأخرى ، ولكنه لا يمكن أن يوافق على منح اليهود امتيازات على غيرهم من السكان» (٩٩) .
تجاوباً مع هذا الموقف تحركت الدبلوماسية الفرنسية والإيطالية والبرازيلية « وكلها دول كاثوليكية » في اتجاه تأخير إقرار الانتداب البريطاني على فلسطين في عصبة الأمم إلى أن يعاد النظر في وعد بلفور . في عملية استيعابية لهذه التحركات ، قام ونستون تشرشل Winston churchill وكان وزيراً للمستعمرات بحركته الالتفافية ، فأصدر الورقة البيضاء ، التي استهدفت إقناع خصوم الصهيونية بفرض قيود على المستقبل السياسي للمستوطنين اليهود في فلسطين دون

٩٨ - Acta Apostolicae Sedis (Rome) 18 June 1921

٩٩ - New york Times 10 June 1922. Quincy Wright. Mandates Under The

League (Chicago, 1930

إعادة النظر فى نص وعد بلفور أو فى مضمونه .. وفى هذا الإطار أيضًا، جاءت توضيحات القومندون هوغارث من المكتب العربى فى القاهرة Commander Hogarth بأن «أى مستوطنة يهودية فى فلسطين لن تقام إلا فى حدود مراعاة الحريات السياسية والاقتصادية للسكان العرب».

عززت حركة تشرشل الموقف الذى اتخذته الكونجرس الأمريكى بمجلسيه الشيوخ والنواب بتأييد وعد بلفور بمنح اليهود وطنًا قوميًا «دون إلحاق الأذى بالحقوق الدينية للمسيحيين أو غيرهم من المجموعات غير اليهودية».

هذان الموقفان البريطانى «الإنجليكاني»، والأمريكى «البروتستنتى» أديا معًا إلى هزيمة موقف الفاتيكان «الكاثوليكي».

برغم ذلك، وبرغم انشغال البابوية بالانعكاسات السلبية على الكنيسة الكاثوليكية فى الدول الشيوعية، فإن الفاتيكان لم يتراجع عن معارضة تهويد فلسطين خلال الثلاثينيات من القرن العشرين.

فى تموز-يوليو-من عام ١٩٣٧م، وفى أعقاب الثورة الفلسطينية التى نشبت فى عام ١٩٣٦، ألفت بريطانيا لجنة للتحقيق Peel Commission .. أوصت اللجنة بتقسيم فلسطين إلى دولتين عربية ويهودية مع إبقاء الأماكن الدينية فى القدس وبيت لحم تحت إشراف الانتداب البريطانى .. عارض العرب المسلمون والمسيحيون توصيات اللجنة .. وعارضها الفاتيكان أيضًا .. وفى مذكرة وجهها إلى الحكومة البريطانية فى السادس من آب-أغسطس-من ذلك العام، عارض الحبر الأعظم تقسيم فلسطين، وعارض بصورة أخص وضع المناطق المقدسة مثل بحيرة طبريا والناصرة ضمن الجزء المخصص للدولة اليهودية .. وأغرب الحبر الأعظم عن قلقه الشديد من نتائج مثل هذا التقسيم لفلسطين على المجموعات المسيحية.

بنتيجة الثورة الفلسطينية وبنتيجة هذه المعارضة الفاتيكانية وما رافقها من توتر دولى، تراجعت الحكومة البريطانية عن مشروع

التقسيم.. ثم أصدرت في عام ١٩٣٩م الورقة البيضاء التي حددت بموجبها عدد اليهود الذين يسمح لهم بالهجرة سنوياً إلى فلسطين ومساحة الأراضي التي يسمح لهم بتملكها.

عكست الصحف الأمريكية الكاثوليكية «ساين Sign» وتابليت Tablet الحملة الفاتيكانية ضد التقسيم وركزت على «أن فلسطين ليست ولن تكون وطناً قومياً لليهود»^(١٠٠).

ظل هذا الموقف من الثوابت الفاتيكانية حتى إلى ما بعد تصويت الأمم المتحدة على قبول عضوية إسرائيل في المنظمة الدولية، ففي ٢٢ من حزيران - يونيو - من عام ١٩٤٣ م، ورداً على بيان المنظمات الصهيونية الذي صدر في نيويورك «بيان بلطيمور Biltmore» في آيار - مايو - ١٩٤٢ م، وجه المبعوث الفاتيكاني إلى الولايات المتحدة الأسقف أملتو تشيكونياني Amleto G. Cicognani مذكرة إلى الحكومة الأمريكية جدد فيها نداءات البابا بنديكت الخامس عشر pope benedict xv بمعارضة إنشاء دولة يهودية في فلسطين، وضمن المذكرة صورة عن مذكرة الكاردينال غسباري Cardinal Gaspari إلى عصبة الأمم في ٤ من حزيران - يونيو - ١٩٢٢ م.

وقد جاء في مذكرة تشيكونياني إلى الإدارة الأمريكية:

«إذا كانت إقامة وطن يهودي أمراً مرغوباً فيه، فلن يكون من العسير إيجاد مكان مناسب أكثر من فلسطين.. إن مشاكل دولية جديدة سوف تترتب على زيادة عدد السكان اليهود هناك.. وسيتصدى كاثوليك العالم لهذا الأمر»^(١٠١).

غير أن الصهيونية المسيحية كانت أقدر على انتزاع موقف من الكونجرس «يدعو فيه - الكونجرس - الإدارة الأمريكية إلى بذل جهودها

١٠٠ - صدرت المقالات بتاريخ آب - أغسطس - ١٩٣٨ م.

١٠١ - National Archives 867, N. 16- 2443

وإلى اتخاذ كل الإجراءات اللازمة لفتح أبواب فلسطين أمام اليهود وإفساح المجال أمامهم لاستعمارها بحيث يتمكن الشعب اليهودي من إعادة بناء فلسطين كدولة يهودية ديمقراطية حرة (١٠٢).

أوفد الفاتيكان في عام ١٩٤٤م إلى الولايات المتحدة المونسنيور توماس ماكماهون Mons. Thomas J. McMahon ليحذر من خطر خضوع الغرب إلى المطالب الصهيونية على المجموعات المسيحية في الشرق.. وأكد ماكماهون خلال ذلك أن المسيحيين في العالم يطالبون بصوت واحد «أن تحافظ أرض المسيح على قداستها وحرمتها»، وقال إنه بما أن الإسلام لا يقدر على طرد المسيح من فلسطين، فإن دولة يهودية سوف تفعل ذلك بالتأكيد».

من أجل ذلك اقترح ماكماهون تدويل كل فلسطين مع السيطرة المسيحية عليها.

وقبل اعتراف الأمم المتحدة بإسرائيل بأسبوعين، وجه البابا بيوس الثاني عشر pope piuse XII رسالة رعوية في الأول من آيار-مايو-١٩٤٨م.. قال فيها:

«في الوقت الحاضر هناك قضية أخرى تحزننا وتدمي قلوبنا.. أننا نعنى بذلك قضية الأماكن المقدسة في فلسطين التي تعرضت منذ وقت طويل لأحداث محزنة والتي تؤدي يوميا إلى عمليات قتل وتدمير، مع ذلك فإذا كان هناك جزء من العالم عزيز على ضمير كل إنسان واع ومتحضر، فإن هذا الجزء هو فلسطين..».

ثم دعا المؤمنين إلى تخصيص الصلاة في شهر آيار-مايو- «لتسوية قضية فلسطين على أساس المساواة حتى يسود السلام والتفاهم» (١٠٣). تحتل الكنيسة الكاثوليكية ذات النفوذ داخل الولايات المتحدة

١٠٢ - Congressional Record. 19 Dec. 1945

١٠٣ - Acta Apostolicae Sedis (Rome) 10 May. 1948

موقعا أماميا في التصدي للصهيونية المسيحية .. فالفايكان الذي لم يعترف حتى اليوم بإسرائيل اعترافاً قانونياً De Jure ، يعارض أهداف الحركة الصهيونية اليهودية ، ويعارض هجرة اليهود إلى فلسطين ، رفض البابا بيوس العاشر الذي استقبل أبا الحركة الصهيونية اليهودية ثيودور هرتزل في ٢٦ / ١ / ١٩٠٤ م ، من حيث المبدأ إقامة وطن يهودي في فلسطين^(١٠٤) .. وكان البابا غريغوري الثالث عشر قد أصدر حكم الإدانة ضد اليهود في عام ١٥٨١^(١٠٥) .. ولم يرفع هذا الحكم إلا مؤخراً .

لم يقم على أساس هذه المواقف الواضحة تحالف إسلامي مع الفايكان ضد الصهيونية المسيحية . طرحت فكرة هذا التحالف مجلة أمريكا America التي تصدر عن الكنيسة الكاثوليكية الأمريكية ، في عام ١٩٥٠ م وذلك على قاعدة أن يكون التحالف موجهاً ضد الشيوعية . سارعت إسرائيل فطرحَت نفسها حليفاً للولايات المتحدة ، وتسَلَّلت من خلال العداء للشيوعية حتى إلى قلب الكنيسة الكاثوليكية الأمريكية في عهد الكردينال سبيلمان Spelman ، في ذلك الوقت كانت دول عربية تشتري السلاح مضطرة من دول شيوعية (الاتحاد السوفيتي وتشيكوسلوفاكيا) فاستغلت الصهيونية المسيحية هذا الأمر وصورت الإسلام وكأنه حليف للشيوعية . وصورت إسرائيل وكأنها خندق أمامي ضد الشيوعية في الشرق الأوسط .

وعندما وصل إلى البيت الأبيض الرئيس جون كيندي ، أول رئيس كاثوليكي في التاريخ الأمريكي ، كان إلى جانبه الأسقف كاشنغ Cushing الذي كان مشبعاً بالعداء للشيوعية ، فوجد الأسقف أن إسرائيل ، وليس

١٠٤ - Theodor Herzel. the complet diaries. Translated by Harry zohn

N. Y. Dial Press. 1960

١٠٥ - ينص حكم الإدانة البابوي على « أن خطيئة الشعب الذي، رفض المسيح وعليه تزداد جيلاً بعد جيل، وتحكم على فرد من أفرادها بالعبودية الدائمة » .

الإسلام، هو الحليف الطبيعي للولايات المتحدة ضد الشيوعية، ونتيجة لجهوده التي انطلقت من هذا الاعتقاد، أعطت الكاثوليكية الأمريكية، الشرعية اللاهوتية لإسرائيل.

كرت السبحة بعد ذلك فقامت منظمات مسيحية كاثوليكية تدعو إلى تغيير مواقف الفاتيكان اللاهوتية من مبدأ قيام دولة يهودية، ومن مبدأ عودة اليهود إلى فلسطين مثل منظمة الدراسات اليهودية المسيحية Institute of Judeo – Christian Studies في جامعة سيتون هول Seton Hall، ومنظمة مكتب الفاتيكان للعلاقات الكاثوليكية-اليهودية Vatican Office of Catholic – Jewish Relations.

مع ذلك فإن القاعدة المسيحية الكاثوليكية الأمريكية (١٠٦) لاتزال محافظة على مبادئها اللاهوتية، ولاتزال متمسكة بالشوابت الفاتيكانية، وتعكس منظمة الرهبان الأمريكيين American Bishops Conference ومنظمة مؤتمر الرفاه الوطني الكاثوليكي National Catholic Welfare Conference ومنظمة الهيئة الكاثوليكية للرفاه في الشرق الأدنى Catholic Near East Welfare Association مدى تأييد هذه المنظمات لقيام إسرائيل وهي إذ تطالب الفاتيكان بالاعتراف بها كدولة، فإنها - خلافا للمنظمات الإنجيلية ذات العقيدة الصهيونية المسيحية - لا تنكر حقوق الشعب الفلسطيني، بل تدعو إلى الاعتراف أيضا بهذه الحقوق واحترامها.

هذا يعني أن المجال مفتوح لعمل إسلامي - كاثوليكي مع الفاتيكان مباشرة، ومع الكنيسة الكاثوليكية الأمريكية من أجل بلورة جوامع مشتركة ضد الصهيونية المسيحية وأهدافها في فلسطين، يؤكد إمكان هذا العمل وقائع الاجتماع الذي عقده الكاردينال كوك Cook في بيروت

١٠٦ - يبلغ عدد الكاثوليك في الولايات المتحدة حسب إحصاء ١٩٨٢ م، حوالي ٥٢ مليوناً و٨٨ ألفاً و٧٧٤ فرداً منهم ٨ ملايين من المحافظين، وذلك استناداً إلى كتاب

Year Book Of American and Canadian Churches. P. 236

مع عدد من أعضاء مجلس النواب اللبناني، فقد توجه الكاردينال إلى الأعضاء المسيحيين منتقدا بشدة الاتصال المسيحي اللبناني مع إسرائيل، وقال لهم: «إن الولايات المتحدة أكبر دولة في العالم، لم تتمكن من التعامل مع إسرائيل على قاعدة الأخذ والعطاء، فإسرائيل تأخذ ولا تعطي». وحذرهم من أن الاتصال مع إسرائيل يمكن أن يكون خطأ، ولكن إذا تكرر أو تواصل فإنه يصبح جريمة^(١٠٧).

أما الكنيسة الأرثوذكسية فإنها تتخذ موقفا مناهضا للصهيونية المسيحية على قاعدة الدفاع عن العقيدة المسيحية في الدرجة الأولى، يعكس هذا الموقف البيان الذي أصدره «مجلس كنائس الشرق الأوسط»^(١٠٨) عن الحركات الإنجيلية الغربية الجديدة حيال الشرق الأوسط والذي أكد فيه على^(١٠٩) أن التعاظم المفاجيء في نشاط الحركات الإنجيلية الغربية وعددها، وفي نشاط المراسلين العاملين في الشرق الأوسط، هو مسألة تهم كنائس المنطقة ومجلس كنائس الشرق الأوسط. ففيما نجهد لاستعادة وحدتنا في المسيح، تعترينا مخاوف من أن بعض هذه المجموعات تحدث أثرا انقساميا، فبعضها لا يعترف للكنائس في الشرق الأوسط بتاريخها وشهادتها ورسالتها الخاصة، وبعضها الآخر يصر على «زرع» رؤية لاهوتية غريبة على ثقافتنا. بل أن اختلاط المفاهيم أحدث قلقا، وبخاصة بين الإنجيليين والأسقفيين من

١٠٧- من مقابلة خاصة مع رئيس مجلس النواب اللبناني السيد حسين الحسيني الذي كان حاضرا للقاء.

١٠٨- يضم المجلس جميع كنائس الشرق الأوسط (باستثناء الكنيسة الآشورية العراقية) الأرثوذكسية بشقيها، والكاثوليكية والإنجيلية المسكونية. من أهداف المجلس: تعميق الإيمان المسيحي، تحقيق الوحدة المسيحية من خلال هذا الإيمان، تنظيم الحوار بين الكنائس، المساهمة في أعمال التنمية الإنمائية الاجتماعية، تثبيت العيش المشترك بين المسيحيين وغير المسيحيين على أساس العدالة والسلام.

١٠٩- صدر البيان في ليماسول - قبرص في نيسان - أبريل ١٩٨٦ م.

أعضاء مجموعة كنائس المجلس، الذين نجحوا في أداء شهادة أصلية وملائمة ثقافيًا».

ويرى المجلس في تقريره في «حركة المرسلين في القرن التاسع عشر كانت تحفزها رغبة قوية في «تصدير» الثقافة والقيم الغربية إلى الشرق الأوسط، وفي بعض الحالات بلغ الأمر أن جعلت المسيحية والتبشير بالإنجيل والحضارة، مرادفة للحضارة الأوروبية - الأمريكية، وبعضهم كان يؤمن أنه لم توجد في الشرق الأوسط كنيسة «حقيقية» حتى كادوا ينكرون أن المسيحية والتوراة جاءتهم من الشرق الأوسط، ويؤمنون بأن الإرساليات الغربية هي التي أتت إلى الشرق الأوسط بهما، وعرف بعضهم أن في الشرق الأوسط كنائس، لكنهم آمنوا أنها ليست «مسيحية» كفاية» (١١٠).

«وفيما يجنح الكثير من المجموعات (الإنجيلية) الجديدة جنوحاً قوياً إلى تكرار هذه الأخطاء، لابد من أن نضيف أن بعض هذه الحركات تتميز بسمات جديدة وفريدة تنذر بنسف الشهادة المسيحية، لا في الشرق الأوسط فقط، بل في مواطن هذه الحركات أيضاً، وهذا يلقي على كاهل كنائس تلك البلاد مسئوليات معينة، بخاصة في الولايات المتحدة حيث نشأت هذه الحركات» (١١١).

ورداً على البيان الذي صدر عن القيادة المسيحية الصهيونية الدولية في مؤتمر بال - سويسرا ١٩٨٥ م، قال بيان مجلس كنائس الشرق الأوسط: «لما كنا نعي المسئوليات الملقاة على عواتقنا حيال الطوائف المسيحية والرأي العام العالمي، فإننا نؤكد أن لهذا الاجتماع صفة سياسية مفضوحة على الرغم من الإشارات الدينية الكثيرة، إننا ندين استغلال التوراة واستثمار المشاعر الدينية في محاولة لاضفاء صبغة

١١٠ - المصدر السابق

١١١ - المصدر السابق

قدسية على إنشاء دولة، ولدمغ سياسة إحدى الحكومات بدمغة شرعية. ولا حاجة إلى القول إن أى جماعة لا تستطيع التحدث نيابة عن مسيحي الشرق الأوسط إلا كنائس هذه المنطقة، ولما كان مؤتمر بال قد حاول ذلك، فإنه يتعين علينا أن نرفض علنا مقرراته وتوصياته. إننا نعاود إعلان الالتزام بالعدالة والسلام فى الشرق الأوسط فى العالم، ونعتبر التزامنا هذا هو إعراب عن إخلاصنا لإنجيل يسوع المسيح، وعن اهتمامنا الأكيد بالمتألمين والمحرومين من حقوقهم الأساسية».

وفى موقف واضح وعلنى ضد الصهيونية المسيحية، صدر عن السيد غبريال حبیب الأمين العام للجنة التنفيذية لمجلس كنائس الشرق الأوسط بيان آخر، أدان فيه «سوء استخدام الكتاب المقدس وإثارة المشاعر فى محاولة لتبرير خلق دولة ما - إسرائيل - ولتشريع سياسات حكومة ما - الحكومة الإسرائيلية».

أرفق هذا الموقف المبدئى بدراسة لاهوتية - تاريخية (١١٢) تسفه الصهيونية المسيحية وتؤكد على اعتبارها خطراً على المسيحية، وتدعو الدراسة: «كنائس الشرق الأوسط إلى تذكير المسيحيين فى العالم باستمرار إلى أنهم يرفضون الإيديولوجية والأهداف السياسية للاتجاه الصهيونى المسيحى»، كما تدعو القيادات الكنسية إلى إصدار البيانات التى تندد بهذا الاتجاه وإلى توعية مستمرة ودائمة فى إطار الثقافة الكنسية.

فى الواقع «ليس للمسيحية أى علاقة بهذه الخزعات (نظرية هرمجيدون) وذلك بالرغم من أنها - المسيحية - تعرضت للإغراء مراراً حتى تعرف عن نفسها على أساس هذه أو تلك من الخزعات».

١١٢ - صدر البيان فى قبرص - ليماسول فى نيسان - أبريل ١٩٨٨ م وحمل توقيع الأسقف الدكتور دونالد واغنىر Donald E. Wagner بالتعاون مع الهيئة المختصة بدراسة المسيحية الصهيونية فى مجلس كنائس الشرق الأوسط.

«إن التاريخ هو أشد تعقيداً، والحياة البشرية والمجتمع الإنساني هما أكثر تنوعاً، وهذا التنوع هو أثمن من أن يختصر في خطة شاملة واحدة، ومهما كان معنى الإيمان بالمسيح، فإنه لا يعنى تهميش وتحقير تاريخ الإنسانية غير اليهودي وغير المسيحي» (١١٣).

إن التفاهم الإسلامي - المسيحي لكبح جماح الصهيونية المسيحية داخل الولايات المتحدة وخارجها، فوق أنه ممكن، ومتوفر، فإنه سيكون شديد الفعالية، ذلك لأن الكنيسة الكاثوليكية - خلافاً للبروتستنتية - هي كنيسة مركزية موحدة، ويلتزم أبنائها بفكرها اللاهوتي التزاماً شديداً، ثم إنها - الكاثوليكية - غير معنية على الإطلاق بأيديولوجية الكنيسة البروتستنتية التي تعلم أبنائها أن الله يتعامل مع الأمم حسب تعامل هذه الأمم مع إسرائيل، وأن الوقوف إلى جانب إسرائيل هو مدخل للحصول على رضا الله وبركته، وأن معاداة إسرائيل هي معادة الله، كما أن الكنيسة الكاثوليكية غير معنية بأيديولوجية اليهودية للبروتستنتية التي تزعم أن اليهود هم شعب الله المختار، وأن الله منح اليهود وعداً أبدياً بفلسطين.

مؤتمرات الحوار الإسلامي - المسيحي التي شارك فيها وشجعها الفاتيكان ودول ومؤسسات إسلامية متعددة، لم تتصد لهذه القضية الأساسية، ولم تشكل فرق عمل لوضع منهجية لعمل مشترك ينطلق من ثوابت إيمانية ومن قناعات مشتركة تجاه خطر واحد إن لم نقل تجاه عدو واحد.

إن الكنيسة الأرثوذكسية والكنيسة الكاثوليكية العربيتين، وخاصة في لبنان، تتمتعان بموقع يمكنهما من دفع الحوار الإسلامي - المسيحي في هذا الاتجاه، غير أن إثارة الاضطرابات الطائفية في

لبنان ، ودور إسرائيل في هذه الإثارة ، يستهدف في الدرجة الأولى طعن مصداقية الكنيستين ورجالهما أمام المسلمين وبالتالي تعطيل قيامهما بهذا الدور .

إن المسلمين في تصديهم للصهيونية بوجهيها اليهودي والمسيحي يحتالون إلى التحالف مع الكنيسة التي تعتبر هذه الصهيونية معادية لها وخطراً عليها ، ومن مستلزمات هذا التحالف تعزيز التفاهم الإسلامي المسيحي والقفز من فوق الفتن الطائفية التي تنفجر مرة في لبنان ، ومرة ثانية في مصر .. ومرة ثالثة في السودان . إن الإدانة الجماعية التي تصدر عن مسلمين ضد الكنيسة ، أو عن مسيحيين ضد الإسلام فوق أنها إدانة ظالمة وخاطئة بالمطلق ، تعطل سبل تفاهمهما وتقطع الطريق أمام تحالفهما ، وكلما ازدادت الهوة اتساعاً بين المسيحية اللاصهيونية والمسلمين ، تقدمت الصهيونية المسيحية خطوات إلى الأمام نحو أهدافها على حساب الإسلام والمسيحية معاً .

لقد أدى التحالف بين دول إسلامية وعربية مع الكتلة الشيوعية في الخمسينيات من هذا القرن إلى إضرار النار في حقل التفاهم الإسلامي - المسيحي الجاف .

لعبت الخلفية الاستعمارية لدول أوروبا الغربية ، والخلفية اليهودية للولايات المتحدة ، الدور الأساسي في دفع هذه الدول العربية والإسلامية إلى أحضان الكرملين ، رغم العداء للشيوعية كعقيدة .

وظفت الصهيونية اليهودية ، والصهيونية المسيحية هذا الأمر لتوسيع الهوة بين العرب والغرب ، وبين الإسلام والمسيحية ، وقبل أن تتكشف خطوط الفصل بين المسيحية من جهة ، والصهيونية المسيحية من جهة ثانية ، كانت أحكام الإدانة الجماعية المتسارعة قد عطلت لغة الحوار والتفاهم على

قواعد العقائد والمصالح المشتركة.

مع الوقت أصبحت الإدانات المتبادلة قوالب لعلاقات سيئة، ولم تتمكن مؤتمرات الحوار الإسلامي - المسيحي أن تفعل الكثير لتحطيم هذه القوالب ومن ثم لدفع العلاقات نحو آفاق التعاون الرحب والمفتوح أمامها.

كان للفتنة في لبنان آثار مدمرة على المحاولات المتواصلة التي جرت في الثمانينيات في روما وأثينا ومديرد وقبرص، وحتى في الولايات المتحدة نفسها، فالمثال اللبناني الراقى على التعايش بين المسلمين والمسيحيين، تحول بفعل التدخل والتحريض الإسرائيليين إلى وحش مخيف، وما لم يدرك المسلمون والمسيحيون داخل لبنان وخارجه، أن ما حدث في لبنان هو جزء من الصراع بين الصهيونية (اليهودية والمسيحية) وأعدائها، فإن كل حسابات التعامل مع أسباب ونتائج هذه الفتنة، ستبقى حسابات خاطئة ومتعشرة، إن ما حدث في لبنان كان نتيجة ولم يكن سبباً، كان أداة ولم يكن هدفاً.

لم يكن ما حدث نتيجة لاستحالة التعايش الإسلامي - المسيحي، ولكنه كان سبباً لنجاح هذا التعايش، فالذين ساءهم نجاح التجربة اللبنانية عملوا على ضربها.

ولم يكن ضرب هذه الصيغة هدفاً في حد ذاته، بل أداة لضرب هدف أكبر، هو التفاهم الإسلامي المسيحي ضد الصهيونية.

الفهرس

- مدخل ٣
- محطات تاريخية بارزة ١١
- الصهيونية المسيحية الأمريكية ٣٩
- الصهيونية المسيحية بوابة أمريكا إلى الوطن العربي ٦٣
- الصهيونية المسيحية والإسلام ٧٢
- مؤسسات الصهيونية المسيحية ٧٨
- الصهيونية المسيحية والقانون الدولي ٨٨
- في مواجهة الصهيونية المسيحية ١٠٥



تدمير الهيكل الثاني على أيدي الرومان
لوحة بريشة الفنان Francesco Hayez رسمت عام 1867م



الأزهر

ALAZHAR

MAGAZINE

هدية مجلة الأزهر المجانية لشهر صفر ١٤٣٥ هـ

www.AlazharMag.com